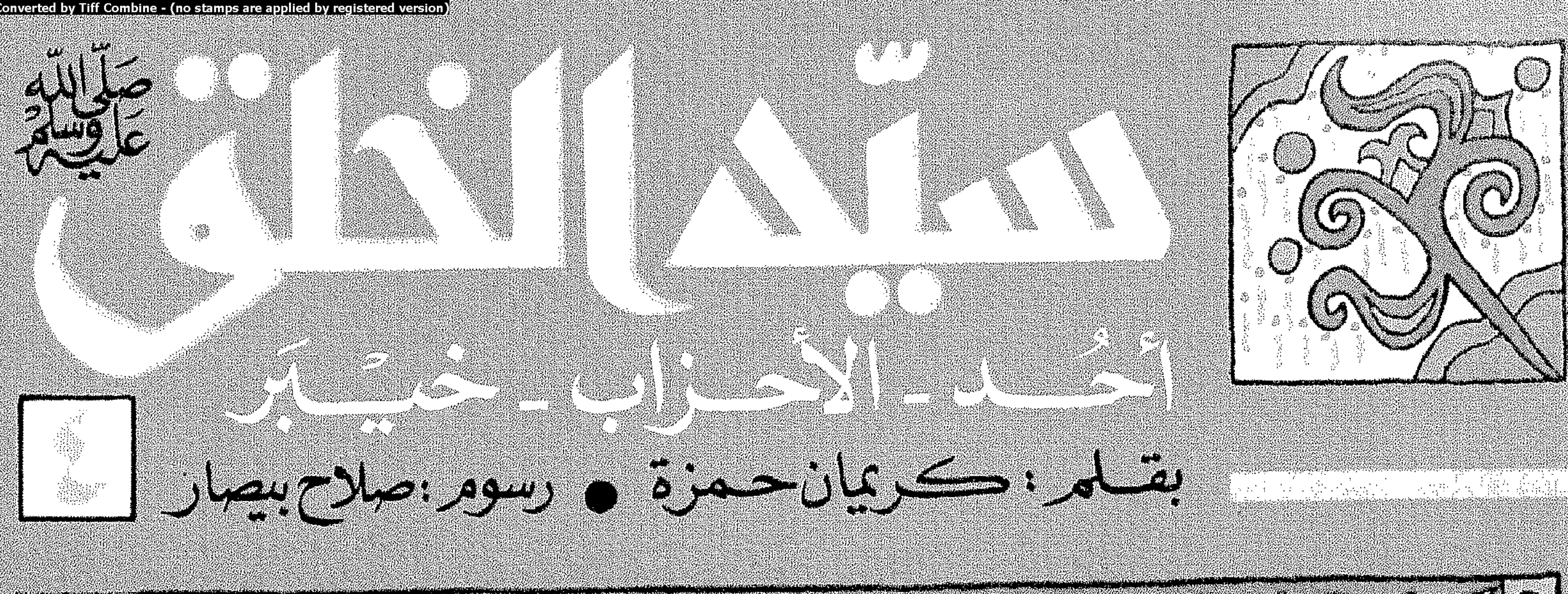


سيد الخلق صلى الله عليه وسلم

أُحُد - الأحزاب - خيبَر

بقلم: كريمان حمزة ● رسوم: صلاح بيصار

لا إله إلا الله محمد رسول الله



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سيد الخلق صلى الله عليه وسلم

أُحُد - الأحزاب - خيبَر

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨٦٧٥٥٥ - تلكس : SHOROK 20175 LE

سيد الخلق صلى الله عليه وسلم

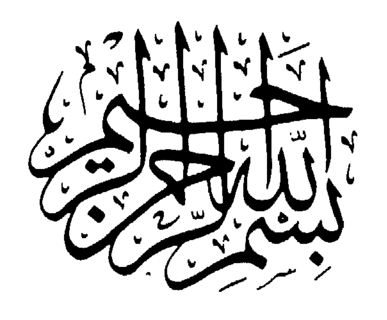
أُحُد - الأحزاب - خيبَر

بقلم: كريمان حمزة • رسوم: صلاح بيصار



الجزء الرابع

دار الشروق


بسم الله الرحمن الرحيم

غَزْوَةُ أُحُـــد

بَكَتْ قُـريشٌ على قَتْلاهَا فى بِـدْر نَحْوَ شهرٍ . . ثم خَـافَتْ أن يَفْـرَحَ فِيهـا المسلمُـون فكَفَّتْ عـن البُكـاءِ . . وبَـدَأتْ تُفكـرُ فى الانتقـامِ فَلبِسَـتْ الحِدادَ [1] . . وجَـزَّ [2] النِسَاءُ شُعُورَهـن وخَاصَمْـنَ أزواجَهُن وأصبحَ رِجالُ قُـريش مِلْؤُهم الغيـظُ تسيطرُ عليهم الحسرةُ واللـوعةُ وتعلـو وُجوهَهمْ الكـآبةُ . . وأصبـحَ هَمُّها الأولُ والأخيرُ هو الأخذُ بالثَّأر .



غـزوة السَّويق :

أقسم أبو سُفيَانَ لا يَمَسُّ رأسَهُ [3] ماءٌ حتى ينتقمَ لقريش . . فلما كان شهـرُ ذى الحِجَّة خرجَ أبو سُفْيـانَ ومَعَهُ مائتا راكـبٍ من قريشٍ قاصداً القبائلَ اليهودية ليعرفَ أخبارَ محمدٍ وصَحْبه . . وفى أثناءِ عَوْدَتِه مَـرَّ (بالعُرَيض) ـ على نَحْوِ ثلاثـة أميالٍ من المدينة ـ فرأى رجلاً من الأنصارِ فَقَتلَهُ هـو وأجِيرَهُ ثم أحرقَ عِدَّةَ بُيوتٍ وفَرَّ هارباً .

---

(١) ثياب المأتم ، للإشعار بالحزن على الميت .

(٢) قطع .

(٣) لايغتسل



وراح المسلمون يلتقطون السويق وغنموا كثيراً

فلما عَلِمَ رسولُ اللهِ بذلـكَ خرجَ فى مائتى رجلٍ من المهـاجرينَ والأنصارِ ليَلْحَقَ بهم ولكن أبا سُفْيَـانَ طلبَ من رجالِه أنيتخففُوا من أثقالِهم فيُلقوا جـرب السَّويق (١) حتى يتمكنـوا من الإسراع فى الهَرَبِ خوفاً من مُلاحقةِ محمدٍ وصَحْبِه . .

وراحَ المسلمون يَلتقِطُـونَ السَّويـق وبعدَ خمسـةِ أيام عـادوا ولم يتمكنُوا مـن اللِّحاقِ بـأبى سُفْيـانَ ومن مَعَـهُ . . ولكنَّهم غَنِمُـوا سَويقاً كثيرا .

ازدادَ غيظُ قريـش لأنها لم تُحقّقْ ما يَشْفِى غَلِيلَهَـا . . فاجتمعَ القرشيون وراحُوا يتحدثونَ . . فقال أَحدُهم :

ـ إن رجـوعَ أبى سفيان ورجالِـهِ على هذا النَّحوِ مـن الفِرارِ شرٌّ من الهزيمة .

وقال آخر :

ـ المشكلةُ ليسـتْ فَقَط فى هذا ولكن تجارتَنـا إلى الشام لابُدَّ وأن تَمُرَّ على مَقْرُبةٍ من المسلمين ؟

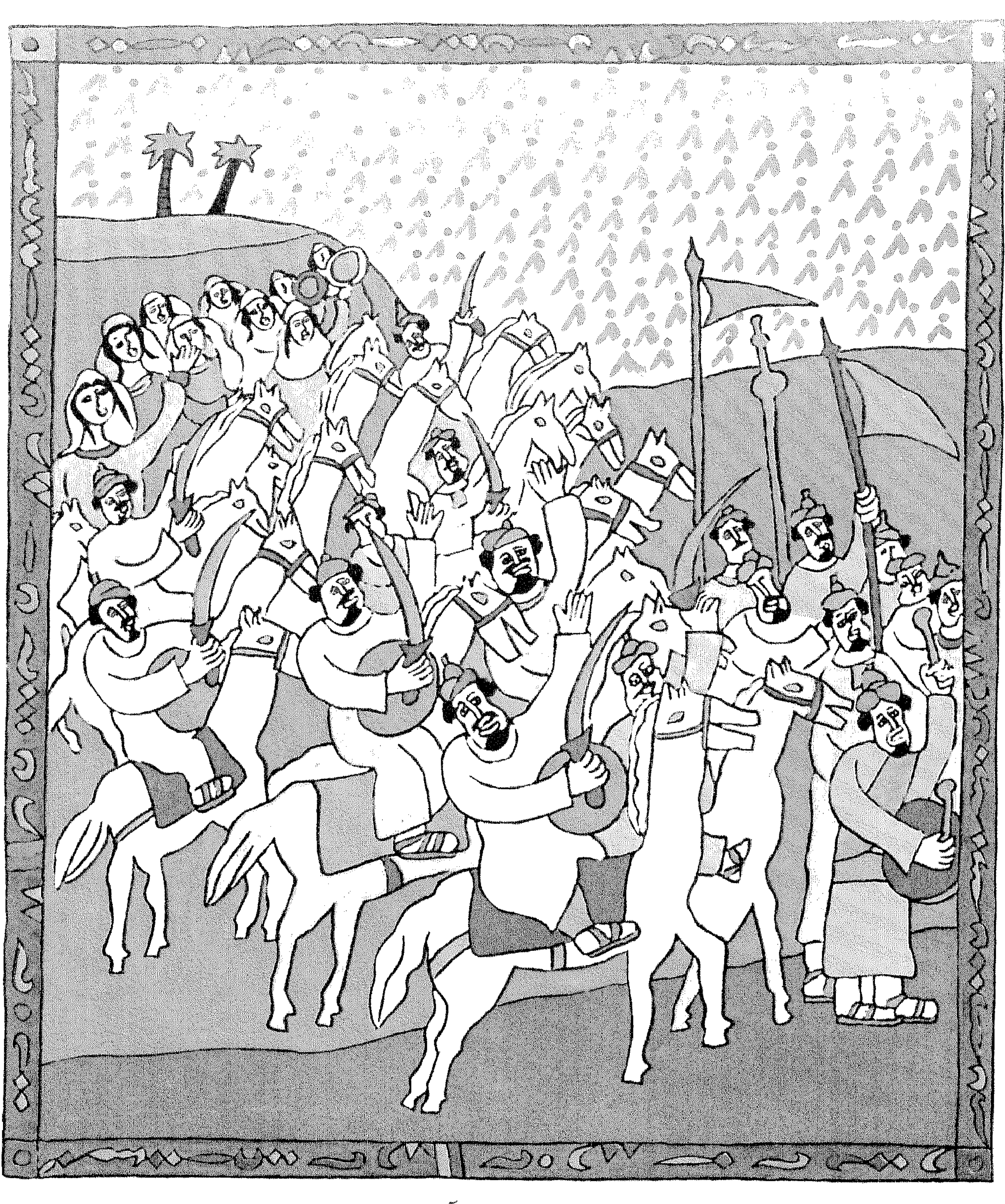
وقال ثالثٌ :

ـ والمسلمـونَ كما تعلمـونَ يشعرون بحِقّهـم فى هـذه التجـارةِ مُقابِلَ ما أُجْبِرُوا على تَرْكِهِ فى مكـةَ من مساكنَ ، وأثاثٍ ، وأموالٍ وتجارة .



---

(٢) حقائب من الجلد يضعون فيها طعامهم



وتحركت قريش فى ثلاثة آلاف مقاتل

وقال آخر :

ـ مـاذا سنفعلُ إذن مـن أجلِ تجارتِنـا إلى الشامِ والمسلمـونَ لا يتركونَ السَّاحلَ ؟

الأمرُ أصبحَ حياةً أو موتاً .

إما أَنْ نَذِلَّ أمامَ محمدٍ وصَحْبِه أو نستعدَّ لِضَرْبةٍ قاصمةٍ (١) .

غَزْوَةُ أُحُــــد :



ظلَّتْ قـريشٌ طَوالَ عـامِهَا تستجمـعُ قُوتَّها ، وترصُـدُ الأموالَ وتُعبِّـىءُ القُـوَى وتجمـعُ السـلاحَ ، وبعثـتْ رُسُلَهـا إلى قبـائلِ العـربِ . . ثم تـوجهـتْ إلى المدينة فى حماسـةٍ شيطـانيةٍ ليـس لها مثيلٌ . . وأَجْبَرَتْ نساءَ قريشٍ على الخُروجِ معهم لِيُحَمِّسْنَ الرجالَ وكان على رأسِهنَّ هندُ بنتُ عُتْبَةَ زَوْجُ أبى سُفْيَانَ .

وتحركتْ قريش فى ثلاثةِ آلاف مُقاتلٍ فى أكملِ استعدادٍ ، فيهم مـائتان مـن الفُرسـانِ المدربينَ على ظُهُـورِ الخَيْلِ ، وسبعمائةٌ مـن المدرعين . . يحملُهُم عَـدَدٌ وَفيرٌ من الـركائِبِ . . وعـددٌ غَفِيرٌ من العَبيـدِ والغِلْمَانِ لِخِدمتِهـم . . وكـان بينَهُـمْ عبـدٌ حبشـيٌّ اسمـه (وَحْشِيٌّ) وكان مـاهراً فى الرمايةِ فَشَجَّعهُ سَيِّدُهُ على قَتْلِ حَمْزَةَ بنِ عبدِالمطَّلب عَمَّ رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وقال له :

« إن أَنْتَ قَتَلْتَ حمزةَ عَمَّ محمدٍ فأنتَ عَتِيقٌ (٢) »

---

(١) مُهلكة. (٢) حُر طليق .

خُطَّةُ قُرَيْش :

قــررتْ قريــشُ أن تخرُجَ سِراً حتــى تُفــاجِىءَ المسلمين فى عُقْــرِ دَارِهم . . فتُبــاغِتَهُم[1] وتُفَــرقَ بين صُفــوفِهم وتُضْعِفَهُــمْ فــإذا فَشِلَتْ فى ذلك والتحمَ[2] الفريقانِ فأهَمُّ ما يجبُ التركيزُ عليه هو قتلُ محمدٍ . . من أجل ذلكَ تكَتَّمتْ قريشُ الخُطَّةَ .

ولكن العَبَّاسَ بنَ عبدِ المطلب كتبَ إلى رسولِ اللهِ بهذا الخبرِ . . فأرسلَ عُيونَهُ يَستطلعونَ الأمرَ فعادُوا وقد رصدُوا كُلَّ شيء .

مجلس الشورى :



اجتمع صلى الله عليه وسلم بِكُبَراءِ المدينة . وقال :

ـ أشِيروا علَيَّ .

فقام عبدُ الله بنُ أُبَى وقال :

امكُثْ فى المدينة ولا تخرجْ لملاقاةِ العدو . . فما خرجنا إلى عدوٍ قَطْ إلا أصاب مِنَّا ومَا دخلَ علينا قَطْ إلا أصبنــاهُ . . يا رسولَ اللهِ أطِعْنِى فى هذا الأمرِ . . فقد وَرِثْتُه عن أكابرِ القومِ فى المدينة .

وكان رأيُّ رســولِ اللهمع رأى ابــنِ أُبىّ وكــان ذلك رأىَ الأكابرِ ولكنْ تدخلَ بعضُ فِتْيَانَ المسلمين مِمَّنْ لم يشهدوا بدراً ، وَرَغِبُوا فى لقاءٍ يُنيلُهم ما نالَهُ البدريون من فخر . . فقالوا :

---

(١) تفاجئهم.　　(٢) اشتبك

ـ « أُخْرُج بنا يا رسولَ اللهِ إلى عدوّنَا » . .

وقال آخر :

ـ إنا نخشى أن يظُنَّ عدونُّا أنَّا كَرِهْنَا الخروجَ جُبناً وخوفاً . .

وقال فتى آخر :

ـ يارسولَ اللهِ نحنُ بينَ الحُسنيَينَ النصرِ أو الشهادةِ . .

عِندئذٍ تدخلَ الكِبارُ فقال النُّعمانُ بنُ مالكٍ :

ـ لِمَ تَحْرِمُنَا الجَنّةَ ؟ فَوَاللهِ لأدخُلَنَّها . .

فقال رسولُ اللهِ : بِمَ ؟

قال : إنى امرؤٌ أُحِبُ اللهَ ورسُولَهُ ولا أَفِرُّ يوَم الزحفِ . .



وقال حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلب :

ـ والذى أَنزَلَ عليكَ الكتابَ لا أُطْعَمُ اليومَ طَعاما حتى أُجَالدَهُم بسيفِي خَارِجَ المدينة .

ورأى رسولُ اللهِ أن الخروجَ هو الرغبةُ الغالبةُ فَلَبِسَ لأْمَةَ الحربِ[1] وعندما خَرَجَ وجد الناسَ يتناقَشُون . . ويقولُ البعضُ ما كانَ لنا أن نُخَالفَ رَأْىَ النبى . . وقد رأينا الكَراهَةَ فى وجهِهِ يُريدُ أن تدورَ المعركةُ فى المدينةِ . . لأننا أعلمُ بحواريِها وأَزِقَّتِها . . فَرَدَّ عليهم صلى اللهَ عليه وسلم قائلاً :

---

(١) أداة الحرب كلها من رُمح ، وسيف ، ودرع . .



وأعطى لواء المهاجرين إلى مصعب بن عمير

ـ قد دعوتُكم إلى هذا الحديثِ فَأَبيْتُم [1] ، ولا ينبغِى لنبِّيٍ إذا لَبِسَ لأمتَهُ أَنْ يَضَعَها حتى يَحْكُمَ اللهُ بينهُ وبينَ أعدائِه . .

وبدأ صلى اللهُ عليهِ وسلم تنظيمَ الصفوفِ فعَقَدَ أَلْوِيةً ثلاثةً . . وأَعطى لِواءَ الأوسِ لأُسَيْد بنِ حضير . . ولواءَ الخَزْرَجِ لِحبَّابِ بنِ المنِذر . . ولواء المهاجِرين إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ . . ثم رَكَبَ فَرَسَهُ وخرجَ فى ألفٍ من أصحابِهِ فيهم مائةُ رجلٍ يَلْبِسُونَ الدُّرُوعَ والناسُ عن يَمِينه وعن شمالِهِ . . وكان ذلكَ يومَ ستةٍ من شَّوال وقد تركَ ابنُ أم مكتُوم ليُصلىَ بالناسِ فى المدينة .



ظَلَّ الجيشُ سائراً حتى أتى مكاناً يقالُ له « الشيخين » فعسكر فيهِ . . وأخذَ يستعرضُ جيشَهُ ويردُّ من استصغرَهُ من الجنودِ فَرَدَّ رافعَ بنَ خُدَيج وسمرةَ بنَ جَندُب فقالوا :

ـ يا رسولَ اللهِ إن رافعاً يُحْسِنُ الرِّمايةَ .

ـ فأجازَهُ رسولُ اللهِ

فبكى سمرةُ وقال أَجَازَ رافعاً وردَّنِى مع أَنِىّ أَصْرَعُهُ [2] . .

فسَمِعَ ذلكَ رسولُ اللهِ وأَمَرَهُما أن يَتصَارعَا فكانَ الغَالِبُ سمرةَ فأَجَازَهُ هو الآخر .

---

(١) رفضتم .

(٢) أَغْلبُه



وجعل خمسين من الرماة على جبل « عينين »

الأخطاءُ الثَّلاثَةُ

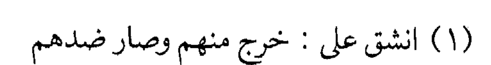
الخَطأُ الأولُ : الأنا إذا دَخَلت القلبَ :

فُوجِىءَ رسولُ اللهِ بأنَّ عبدَ اللهِ بنَ أُبَى انشقَّ عَلى المسلمِينَ ورجع ومعهُ ثلاثمائةُ جندى . . ذلك لأنه كَانَ مُنَافقَا يَكرهُ المسلمِينَ ويتمنَّى هَزِيمتَهُم . . وقَد قَالَ عبدُ اللهِ بنُ أُبىّ وهُوَ راجع :

أطاعَ رسولُ اللهِ الغِلْمانَ وخرجَ من المدينة وعصَانِى ولم يَأخذْ برأيى فلماذا نقتلُ أَنْفسَنا هَا هُنَا وحَاولَ القومُ أن يَثْنُوهُ عن رأيهِ ولكنه كان يُردِّدُ لو نعلمُ قتالا لاتَّبَعْنَاكُم ، ولقد أَحْدَثَتْ هذه الفِعلةُ الشنيعةُ خَلْخَلةً فى بناءِ الجيش .



ثم سار رسولُ اللهِ حتى وصلَ جبلَ أُحُد فنزلَ فى جانب الوادِى بجوارِ جبلٍ يُقَالُ له « جَبَلُ عينين » . . فجعلَ ظهرَ الجنودِ إلى الجبلِ ليحتموا به . . ووُجُوهَهَمْ إلى المدينةِ بحيثُ يُشرفون على الوادى من أعلاه . . وجعلَ خمسينَ من الرُّماة على جبلِ (عينين) ليحموا ظُهورَ المسلمين عِنْدَ القتالِ وشَدَّدَ صلى الله عليه وسلم عليهم ألاَّ يتركوا أماكِنَهُمْ سواءٌ أكانَ النصرُ للمسلمينَ أم عليهم . .



(١) انشق على : خرج منهم وصار ضدهم

وبينما كان الرسولُ مُنهمِكاً فى تسويـة الصفوفِ ظهرَ القرشيونَ من السهلِ المنبسطِ وصارَ الجيشانِ وَجْهاً لوجهٍ .

وحاولَ أبو سُفْيَانَ إضْعَافَ المسلمينَ فنادى :

ـ يـا معشرَ الأوس والخَزْرَج ، خَلُّـوا بيننـا وبينَ بنـى عَمِّنـا وننصرفُ عنكم . ولكنَّ كلامَهُ ذَهَبَ أدْراجَ الرياحِ . .

ودارتْ رحَـىَ [1] المعركـةِ واشتدَّ الرَّمىُّ مـن الجانبين . . فعادَ المشركون إلى أماكِنهم كما كانوا أولَ المعركةِ .

ونادوا : فلنبدأْ بالمُبارزةِ . . ثـم خرجَ رجلٌ من المشركينَ فخرجَ له الزُّبير بنُ العوَّامِ فقتلَهُ .



وراحَ المسلمونَ يُكبِّرُونَ . . .

ثم هجـمَ علىُّ بنُ أبى طالـبٍ على أَحَدِ الكُفارِ الذيـنَ يحملونَ لِواء [2] المُشركين فقتلَهُ . . فجاء أَخُوه . . فقتلَهُ المسلمون ثم جاء آخرُ فقتَلُـوه . . ثم تَنَاوَبَ اللواءَ بعـدهَم أربعةٌ فقتلَهـم المسلمون واحداً واحداً . .

وارْتَدَّ المشركـون . . وانكسرتْ شَوكتُهم وتفـرقت صفـوفُهم . . فحمـلَ المسلمون عليهـم حَمْلةً صـادقةً . . وأمْعَنـوا فيهم ضربـاً بالسيـوفِ ورمياً بالسّهَـامِ . . ففروا فِـرارَ الفأرِ من الأسـد وتبِعَهم

---

(١) رحى : بدء المعركة واشتدادها (٢) لواء : عَلَم



واندفع الرماة نازلين إلى سفح الجبل وانغمسوا فى جمع الغنائم

المسلمون فراحتْ نساؤُهم يصرُخْنَ ويُولْوِلْنَ . . حتى ابتعدوا . . وأوشكَ المسلمون على النصرِ المُبين .

الخطأُ الثانى : نِسيانُ أوامرِ الرسول :

ومَا إِن رأى المسلِمُون المشْركينَ فى فِرَارهم حتى انقضُّوا على الغنائم يجمعونَها وهم مُطمئِنُّون إلى أَنَّ ظُهورَهم لا تزالُ مَحْمِيَّةً بالجُنودِ الذين يَقفُون بالنِّبالِ على جَبلِ عينين .

وعندَئذٍ تحركَ فى قلبِ الرُّماةِ حُبُّ الدُّنيا وجمْعُ الأموالِ والرغبةُ فى الاقْتِناءِ . . وخَشَوْا أن يسبِقَهُم إخوانُهم إلى الغَنَائِم . . فَنَسُوا أمرَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم . . وغَفَلُوا عن تشْدِيدِه بالاستمرارَ فى المواقعِ تحتَ أىِّ ظرفٍ واندفعُوا نَازِلين إلى سَفْحِ الجبلِ وانغمسُوا فى جمْعِ الغنائم .

وفى هذه الأثناء كان خالدُ بنُ الوليد (١) يتقهقرُ وَعَيْنهُ إلى التَّلِ لا تفارقُه فلما لَمَحَ الرُّماةَ يتركون مواقِعهمُ انقلبَ راجعاً وتَسللُوا فوقَ الجبلِ وأزاحوا الرُّماةَ البَاقِين من أماكنِهم ، واقتحَمُوا خُطوطَ المسلمينَ من الخَلْفِ . . وانهالُوا عليهم طَعناً وتقتيلاً واضطربَ المسلمُون وزُلْزِلُوا زلزالاً شديداً . . وراحُوا يقاتلون على غيرِ نِظَامٍ حتى قَتلَ بعضُهم بعضاً خطأً .

(١) لم يكن قد دخل الاسلام بعد .

الخطأُ الثالث : تصديقُ الإشاعات :

ووقـع المسلمُون فى خطـأ ثـالث . . فَقَـدْ أعلـنَ أحدُ الكُفـارِ بصَوتٍ جَهورى (أنَّ محمـداً قد قُتل) . . فصَدَّقَ المسلمُـون النبأَ ولم يتبيَّنوا ودَبَّ فى صفوفهم الألمُ . . وضَعُفت الرُوح المعنوية . .

ولقـد نَسِىَ المسلمـونَ أنَّهم إنما خَـرجُوا ليرفَعُـوا رايـةَ اللهِ عاليـةً وينصروا دينَهُ الحقَّ . . وأنَّ نبيَّهُـم بشرٌ رسولٌ يمكـنُ أن يموتَ فى أىّ لحظـةٍ ولكـن عليهـم أن يُكملـوا المِشـوارَ ، وفى أثنـاءِ هـذه الدهشَـةِ البَالغـةِ . . رَاحَ رسولُ اللهِ يَصيـحُ بهم : إلىَّ عِبَادَ اللهِ . . إلىَّ عِبَادَ اللهِ إلىَّ يا فُلانُ إلىَّ يا فُلانُ أنَا رَسولُ اللهِ .



وتنبَّه بعـضُ المسلمين فالتفُّـوا حولَه بينما كـان رسولُ اللهِ يـرمى بالنِّبل حتىَّ انْكَسَرتْ نبالُه ، ثم ظَلَّ يَرمى بالحجارةِ حتى وقَع على جَنبه .

وثَبـتَ حولَـهُ عشرةُ رجالٍ فـأَحـاطُوا بـه يصُدُّون عنـه هَجماتِ العدو وضربات السيـوف . ومنهم طَلْحَةُ بنُ عُبيد اللهِ الـذى قاتلَ قتالاً شَديداً ليحمىَ رسولَ اللهِ . . حتى قال صَلَّى الله عليه وسلم :

« قد أَوْجَبَ طَلْحَةُ لنفسه الجنةَ » .

ثـم قُتِـل شَمَّاسُ بـنُ عُثمانَ بَعْدَ أَن تلَقَّـى عِـدَّةَ طَعنـاتٍ مـن المُشركين كانت موجهةً إلى رسُول اللهِ .



أم عمارة تقاتل قتالاً مستميتا

وعندما اشتدَّ الرَّمى بالنبـالِ احتضنَ أبو دجانةَ رسولَ اللهِ وراح يتلقَّى عنه النّبْلَ .

وكان رسولُ اللهِ يُنـاوِلُ سعدَ بنَ أبى وَقـاص النبلَ ويقولُ« ارمِ فِداكَ أبى وأمى » .

أُم عِمارة :

أَمـا أُمُّ عِمَارَة ، فكانـت تَسْقِـى النـاسَ يومَ أُحـد . . فلما رأتْ رسولَ الله قد أُحِيطَ بالكفَّارِ . . وَضَعَتْ سَقَاءَها وأخذتْ سَيْفاً . . وراحتْ تُقاتِلُ قتالا مَسْتَميتاً حتى جُـرِحَتْ ثلاثةَ عشرَ جُرحاً . . وقد سُمِـعَ رسولُ الله يقـول يَومئـذ « ما التَفَـتُّ يميناً ولا شِمالاً إلا أرَاهَا تُدافِعُ دُونِى » .



وماتَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيرِ وهو يَتلقَّى عن رَسولِ اللهِ ضَرَباتٍ قد سُدِّدَتْ إليه . . وماتَ فى ذلكَ اليوم خَلقٌ كثيرٌ كُلُّهم كانوا يَفْدُونَ رسولَ الله بأرواحهم .

وكُسِرَ فى هذا اليوم ربَاعيةُ [1] رسولِ اللهِ اليُمْنَى .

ودخلَتْ فى وجنْةِ [2] رسولِ الله حَلْقَتَانِ من قِنَاعِ حديدىٍّ كان يوضعُ على الوجه . . ونَزَفَ دمُه وحَملهُ أصَحابُه إلى الشِّعبِ .

أما المُشركُـون فقد ارتـاحتْ قلـوبُهم بعدَ أن انتقمـوا ليوم بَـدر وذهبُـوا يـدفنون قَتـلاَهُـم . . وأمـا النِّسـاءُ المشركاتُ فقـد رُحـنَ

---

(١) الرباعية : السن التى تجاور الناب . (٢) وجنة : ما ارتفع من الخدين .



أبو سفيان . . لوى فرسه والدم يغلى فى عروقه متجهاً إلى مكة

يُمَثِّلْنَ (١) بالقتلى من المسلمين . . فيقطَعْن أُنوفَهم وآذانَهم وذهبتْ هندُ بنتُ عُتْبَة زوجةُ أبى سُفيانَ وانقضَّتْ على جُثمانِ حَمْزَةَ عَمّ رسُولِ الله تَضرِبُه وتُقَطّعُه ثم لم تَكْتَفِ بذلك فَبقَرتْ (٢) بطنَهُ وأَخرجَتْ كَبِدَهْ ، وراحَتْ تَقْضِمُها (٣) بأسنانها . . وتأكلُها أَكْلَ المَغيظِ الحَاقدِ ولمَّا لَم تستَطِع أَن تَسْتَطعِمَها لَفَظَتْهَا .

وكانَ هَمُّ أَبى سُفيانَ أَن يجدَ رسولَ اللهِ بينَ الجُثَثِ المُتَناثرةِ ولما لم يجْدهُ طارَ عَقْلُه وراحَ ينُادِى على المسلِمين . . عَلَّهُ يعرِف الخبرَ اليَقِينَ . . ولما تأكد من ظَنِّه لَوَى عَنَانَ فَرسِه والدَّمُ يَغْلى فى عُروقه مُتَّجِهاً إلى مكةَ عازماً ومُصَمِّماً على قتالِ المسلِمين حتَّى يَقتُلَ محمداً .



فلما ابتعدَ القُرشيونَ قامَ أبو عُبيدَة فنزعَ الحلْقَتينِ بأَسنانه من وجْه رسولِ اللهِ فسقطتْ مع الحلقةِ الأولى إحدى ثَنَايَاه (٤) وسقطت مع الحلقِة الثانية ثَنِيَّتَهُ الثانيةُ ، فكان أبو عُبيدَة بَعْدَ ذلك أَحْسَنَ النَّاسِ هَتْماً (٥) .

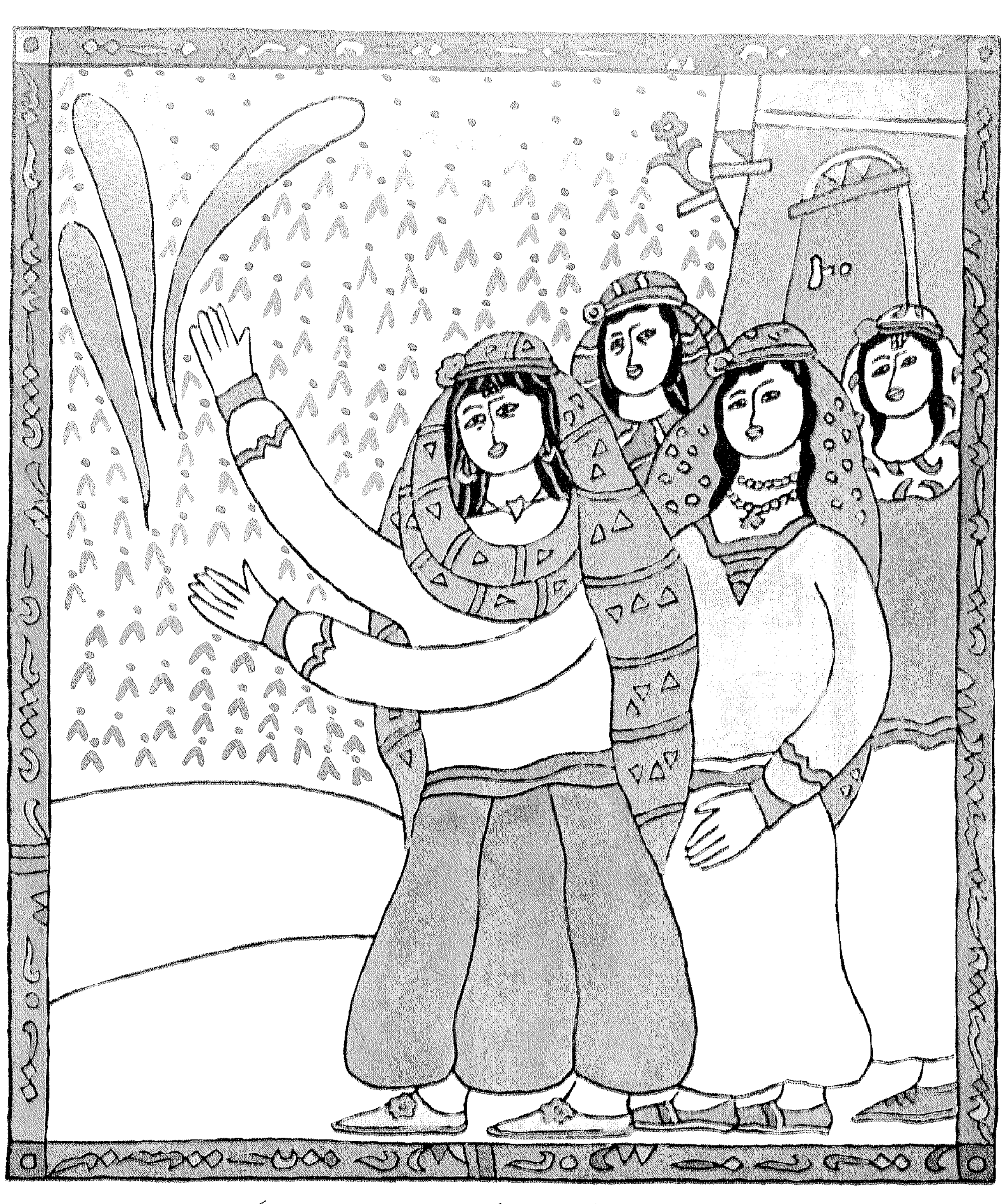
---

(١) يُمَثّلنَ بالقتلى : يَقُمنَ بتشويه القتلى (٢) فبقرت بطنه : شَقَّتْهَا

(٣) تقضمها : تضغط بأطراف أسنانها

(٤) ثناياه : جمع ومفردها : ثَنِيَّة وهى إحدى الأسنان الأربع التى فى مقدم الفم ، اثنتان من فوق واثنتان من تحت .

(٥) هتم : نزع مقدم الأسنان .



وأقبلن عليه وقالت له أم عامر الأشهلية : كل مصيبة بعدكَ جلل

وبعدَ قليلٍ جاءتْ فاطمةُ بنتُ محمدٍ فى نِسْوَةٍ من المدينة ملْهوفةً على والدِهَا فلما وقعَ بَصرُها عليهِ راحت تبكى بكاءً مراً وتُعانِقُ والدَها وتُحاوِلُ تطييب خاطِره .

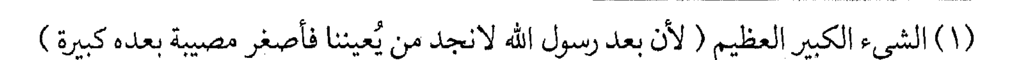
وَرغْمَ جِراحه صلى الله عليه وسلم فإنه أَصَرَّ على النُّزولِ إلى ساحة المعركةلِينْظُرَ القَتْلىَ من أصْحَابهِ ، فلما وقعَ بصرُه على عَمِّهِ حَمْزَةَ اهْتَزَ من شدَّة الحُزنِ وبكَى وقال : « ما وَقَفْتُ موقفاً أَغْيَظَ إلىَّ من هَذَا المَوقف » .

ثم راحَ يتنقلُ بينَ جُثَثِ الشَّهَداء ويُصلى عَليْهم ويدْعُو لهُم وقَالَ :

« أنا شَهيدٌ على هؤلاءِ أنه ما مِنْ جَريحٍ يُجرحُ فى اللهِ إلا ويَبعَثُه اللهُ يومَ القيامةِ يَدْمِى جُرحُهُ اللوُن لوُن الدمِ والرِيحُ ريحُ المِسْك» ثم أمَرَ بِدَفْنِهم حيثُ قُتِلوا . . وقال : لِفُّوهُمْ بدمَائهم وجِرَاحِهمْ . . وانظروا أكثَرهُم جَمْعاً للقرآنِ فاجْعَلُوهُ أمامَ أصحابه فِى القَبْرِ » .



ثم توجهَ الجميعُ إلى المدينة يَلُفُّهم حزنٌ عَميقٌ . . وكان نَساءُ المدينةِ يبكين قَتْلاَهم فلما وَقع بصرُهُنَّ عليه صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نَسِينَ الحُزْنَ وأَقبلْنَ عليه وقالَتْ له أمُّ عامرٍ الأشهِلية : كُلُّ مصيبةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ [1] .



(١) الشيء الكبير العظيم (لأن بعد رسول الله لانجد من يُعيننا فأصغر مصيبة بعده كبيرة)

وأَذِنَ رسولُ الله للمُسلِمين أن يبكُوا قتلاهُم ليُنفِّسُوا عن صدورِهم ولكِنَّهُ نَهى عن لَطْمِ الخُدودِ وشَقّ الجُيوبِ ، ونِياحَةِ الجاهليةِ (١) .

ونزل قولُ الحقِّ تباركَ وتعالى يُواسِى المسلِمين فى مِحْنَتِهم فقال :

« وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وأَنتمُ الأعْلَونَ إنِ كُنتم مُؤمِنينَ . إن يَمْسَسْكُمْ قرحٌ (٢) فَقدْ مَسَّ القَومَ قَرحٌ مْثلُه وَتلك الأيامُ نَداوِلهَا بَيْنَ النَّاسِ وَليَعْلَمَ اللهُ الَّذين آمنُوا ، ويتَّخِذَ منكُمْ شُهَداءَ واللهُ لاَ يُحبُّ الظَّالِمين ، وليُمَحِّصَ اللهُ الَّذين آمنوا وَيَمْحَقَ الكَافرين ، أَمْ حَسِبتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ ولمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذينَ جَاهَدُوا مِنكمْ ويعلَمَ الصَّابِرِينَ » « آل عمران ١٣٩ ـ ١٤٣ »



غزوة بَنِي النَّضِير : (العام الرابع للهجرة)

لا زالَ المسلمونَ يُعانُونَ آثارَ غزوةِ أُحُد . . ولا زالَ المنَافِقُونَ فى المدينة واليهودُ والمشركونَ يتربصُون بهم ويعملُون متُعاوِنينَ على الخَلاْصِ من محمدٍ وصَحْبِه . . وباتَ اليهودُ يُعِدُّون العُدَّة للغَدْرِ بالمسلمين فنزلَ قولُ الحقّ تباركَ وتعالى :

« يأيُّها الذين أمنوا لا تتخِذُوا بِطَانَةً من دُونِكُم لا يألُونكُم خَبالاً (٣) وَدُّوا ما عَنِتُّم قد بَدَت البَغضَاءُ من أفواهِهم وما تُخفِى

---

(١) البكاء بجزع وعويل. (٢) الجرح نجزع وعويل .

(٣) لا يألونكم خَبَالاً : لايقصرون فى جَلْبِ الخبال والفساد فى دينكم .

صُدُورُهم أَكْبَرُ قد بَيَّنا لكُم الآيات إن كُنتم تَعْقِلُون . ها أنتُم أُولآءِ تُحِبُّونَهم ولا يُحبُّونكم وتؤمنونَ بالكتابِ كُلِّهِ ، وإذا لَقُوكُمْ قالوا أمنَّا ، وإذا خلَوا [1] عَضُّوا عليكُمُ الأنامِلَ من الغَيْظ ، قل مُوتُوا بغيظِكُم إن اللهَ عليمٌ بذاتِ الصّدور . إن تَمْسَسْكُم حسنةٌ تَسُؤْهُمْ ، وإن تُصبكُم سَيِئةٌ يفرحوا بها وإن تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُم كَيْدُهُمْ شيئا إن الله بمايعَملُون مُحيطٌ » .

(آل عمران ١١٨ ـ ١٢٠)

وهكذا تكشفتْ نَوايَا اليهودِ . . وكان على المُؤمِنينَ أن يَحْذَرُوهم .



كان رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم كبيرَ القلبِ مُتسامحاً ودُوداً . . كان ربُّه يأمُره بالإيمان بِمُوسَى والتوراةِ وعِيسَى والإنجيلِ واحترام كافةِ الأديانِ السماوية دُونَ ـ تفريقٍ . . ولَكم كان يَتمنَّى أنَ ينالَ تأييدَ أهل الكتاب جميعاً خُصوصا وأنَّ كَهَنتَهُم ورُسُلَهم بَشَّرت بنبيٍّ يَأتِى اسمُه أحْمَد .

لذلك سارعَ رسولُ الله فى الذهاب إلى بَنَى النَّضير [2] يستعينُ بهم فى الحُصول على دِيَةِ [3] قتيلينِ من بَنِي عامرٍ غُرِّر [4] بِهمَا وكان بينَ بنى النضير وبنى عامرٍ عَقْدٌ وحِلف . . فلما جاءَهُم رَسُولُ الله قالوا له :

---

(١) خَلَوْا : مضوا ، أو انفرد بعضهم ببعض . (٢) قبيلة يهودية تسكن المدينة .

(٣) دية : فداء (٤) غُرِّرَ بهما : خُدِعا



من منكم يعلو هذا البيت ويلقى صخرة فيريحنا منه؟

ـ نعـم يا أبـا القَاسـم نُعينُك على مـا أَحْبَبْتَ ممـا استعنْتَ بنـا عليـه . . ثم خَـلاَ بعضُهم إلى بعـضٍ فقالـوا : « إنكم لَـنْ تجِدُوا الرَّجُلَ إلى جنَب جـدارٍ من بيُوتِكُم قَاعداً ـ فَمَـنْ مِنكُمْ يَعلُو هذا البيتَ ويُلقِى صخرةً فيُريحُنَا مِنهُ ؟

فقال عمرو بن مجاس : أنا لذلك وصَعِدَ ليُلْقىَ الصخرةَ .

ورسولُ الله بجـوَار البَيْت مـع أبى بكـرٍ وعمرَ وعَلِيٍّ رَضِـىَ الله عَنْهُمْ . . فأوْحَى اللهُ إلى نَبيِّه بما يُدَبَّر لهُ . . فابتعَد عن الحائِطِ بَلْ ورَجَعَ إلى المدينـة فجأةً . . وعنـدمَا التقـى بالمسلمِينَ أَخْبَرهُـمْ بما حَـدَثَ وأمرَ بـالاستعدادِ لحربِهم . . فحَـاصرُوا بنِى النَّضِيرِ حتـى أجْلُوهُمْ عن المدينةِ وأخْرجُوهم منها كما خَرَجَ بنو قَيْنُقَاع من قَبْل .



وذلك جـزاءُ نَقْضِ العهُودِ والغَدْر وخطـورةِ تواجُدِهـم وسْطَ المسلمين بالمدينة . . وصدقَ الله العظيم إذ يقول :

« لقد أَخذنـا ميثاق [1] بنى إسرائيـلَ وأرسلنا إليهـم رسُلاً كلما جاءهم رسولُ بما لا تَهْوَى أَنْفُسُهم فريقاً كذَّبوا وفريقا يقتلون »

(سورة المائدة ٧٠)

كانـت غَزْوَةُ بنـى النَّضِير خُطوةً حاسمـةً حَسمتْ أمْـرَ اليهودِ والمنافقِينَ معـاً فَقَبعَ الجميعُ فى دِيَـارِهم وهدأت المدينـةُ واستطاعَ رسـولُ الله أن يتفرغَ لمنُـاوشاتِ مـا بَقِـىَ من قبـائلِ البَدْو الثـائرةِ ـ خارجَ المدينةِ ويرسلَ من يؤدِّبُهم ويُلزِمُهم حدودَ الحقِ .

---

(١) عهد



جلاء بنى النضير عن المدينة

حَديثُ الإفْـكِ

معنـى الإفْـكِ أى الكَـذِبُ والافْتِرَاءُ واتهامُ النـاسِ بـأشيـاءٍ لم يفعلُوهَا وهَذَا ما حَدَثَ للسَّيدةِ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤمنين وزوج النبى صلّى الله عليه وسلم أَثْنَاءَ عودة رسولِ الله مُرهَقاً من إحدى الغَزَوات . . وعندما أَتَـى الليلُ نزلَ ليستريحَ قليـلاً . . وكانت السيدةُ عـائشةُ معَـهُ فـذهبـتْ إلى الخَلاء [1] لتَقْضِـىَ حاجتَهـا فسقـط عِقْدُهـا وانْفَرطَ . . فعـادتْ إليه وراحتْ تُلَمْلِمُـهُ وأبْطَأَتْ قليـلاً . . وكان رسولُ الله يَظُـنُّ أن عائشـةَ فى الهَوْدَجِ [2] فأمر القافلـةَ بالرَّحيلِ ولم يشعرْ أحـدٌ بغيابِها . . وعندما عـادتْ عائشةُ إلى مكانِ القـافلة لم تجدْ أحـداً . . فجلســتْ مكـانَهَا وهـى على يقينٍ مــن أن القـومَ سيتنبهون لغيابِها ويعُودون إليها . . ثم غلَبَها النومُ فنامتُ . .



وكان من عادةِ القوافلِ أن يسيرَ خلفَها بمسافةٍ رجلٌ أو رجلان لالتِقاط ما يمكن أنْ يكُونَ قد سقَطَ من القافلِةِ من أنواع المَتَاع . . وكان خَلفَ القافلة فى هذه المرةِ رجـلٌ مشهودٌ له بالصلاحِ وحُسْنِ الإسلامِ هو صَفْوَانُ بنُ المُعطِل ، فلما رأى إنسَانًا على الأرض اقتربَ منـه فَفُـوجِـىءَ بـالسيـدة عـائشــةَ نـائمـةً فقـال بــدهشـةٍ :

(١) مكان بعيد لقضاء الحاجة .

(٢) الهودج : مقصورة ذات قُبة توضع على ظهر الجمل لتركب فيها النساء .



صفوان بن المعطل يقود البعير إلى المدينة

«إنا لله وإنا إليه راجعُونَ » فاستيقظتْ عائِشةُ فَزِعةً فَطَمأنَها وأعطَاهَا بعِيرهُ لتِركبَهُ واتَّجهَ سائِراً على قَدمَيْه إلى المدينة .

هذه هى القصةُ التى يُمكنُ أن تحدُثَ لأيِ إنسانٍ عادي

إلا أَنَّ أصحابَ النفوسِ الخبيثةِ والقلوبِ الآثمةِ والنَّوايَا الدَّنيئةِ يَتصَيَّدونَ الفُرصَ للكيدِ والمكْرِ بهم لمُجرَّدِ التسليةِ أو ليشفُوا غليلَ صُدورِهم . . فما إن وَقعَت عينُ عبدِالله بنِ أُبَيّ على عائشةَ فوقَ البعيرِ وصَفْوَانُ يسُوقُها إلى المدينة حتى وجدَ فرصتَهُ لإطلاقِ الإشاعات والنَّيلِ من شرفِ عائشةَ وهَزِّ الثقةِ فى النبيِّ الكريمِ والإساءَةِ إلى هذا الفتى الصالحِ صفوان بنِ المُعطّلِ . . وإيقاعِ الفِتنةِ بين المهاجرين والأنصارِ . فسمحتْ له نفسُه الخَبيثةُ أنْ يُشيعَ ما يُلَطِّخُ به شرفَ عائشةَ وصَفْوَانَ . . وراحتْ الألسِنةُ الفَاضِحَةُ من المُنافقِينَ واليهُودِ تَلُوكُ سُمْعَةَ السيدةِ عائشةَ باللَّمزِ والهَمْزِ . . والتَلْميحِ والتصريحِ حتى أصبحَ هذا الهُراءُ حديثَ المدينةِ ! !



وَوصَلَ الأمرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلمَ فَشَعَر بضَراوَةِ الطَّعناتِ وجُرِحَ كِبرياؤُه وُتألَّمَ ألماً شديداً وباتَ يكتمُ هَمَّهُ فى قلبِهِ من قَسوةِ جرأةِ الناسِ عليه وعلى آلِ بيتِهِ حتى كادَ يَهْلَكُ .

وأخذ المؤمنُون والمؤمناتُ يدافعون عن عَائشةَ ويُردِّونَ :

ـ ليس هُناكَ سَندٌ ولا شُبْهَةٌ . . تكفِى للشَّكِ فى امرأةٍ من عامةِ النَّاس خرجتْ للجهادِ مع حَضرةِ النبى . . .

وراحت الألسنة الفاضحة من المنافقين واليهود تلوك سمعتها باللمز والهمز

ـ فما بَالُنا بالسيدةِ عائشةَ ابنةِ الصدّيقِ وزوجةِ سَيدِّ الخَلْقِ ؟

وقال آخرون :

ـ لو كانتْ كُلُّ امرأةٍ تتأخرُ فى الطريقِ تُؤخَذُ بالتهمةِفى دِينِهَا وعِرْضِها ، لكَانَت التُّهمُ فى الأعراضِ [1] أَسهلَ شىءٍ يَخْطرُ على بالٍ . . .



أَماَ عائشةُ فعندما وَصَلَها الخبرُ مَرِضَتْ وارتفعتْ حرارتُها ولاَ زَمَت الفِراشَ عندَ أَهلِها وبلغَ بها الأسى إلى درجةٍ لم تستطعْ معها الحَديْثَ . . وإنما دُموعٌ ساخِنةٌ مُتَدَفقةٌ وجَسدٌ ملقى فى الفِراشَ . . حتى نَزَلَ وَحْىُ السماءِ لِيُبَرِّى سَاحَتها ويُعلِّم المسلمين حُدُودَ ما يَجِبُ أن يَقفُوا عندهَ من الكلامِ . . فنزلَ قولُ الله تباركَ وتعالَى :

« إن الذيَن جَاءُوا بالإفكِ عُصْبةٌ منكم ، لاتَحْسَبُوهُ شراً لكم بل هو خيرٌ لكم ، لكل امرىءٍ منهم ما اكتسبَ من الإثمِ ، والذى تَوَلَّى كِبْرَهُ [2] منْهُمْ لهُ عذابٌ عظيم » النور : ١١

وهكذا بَرَّأت السماءُ السيدةَ الطَّاهِرَةَ عائشةَ بنت الصِديقِ وتَوعَّدت الشخَص الذى سَمحَتْ له نَفسُه بإطلاقِ هذه الكِذْبةِ بالعذَابِ العظيمِ .

---

(١) العرض : هو الشرف (٢) الذى أشاع هذا الإفك

ثــم امتَدَحَ القــرآنُ المُؤمنينَ والمؤمنــاتِ الذيــنَ لم يُصــدِّقُوا هــذه الأكذُوبة وردّوا غِيْبَةَ السيدةِ عائشةَ ودافعوا عنها فقالَ تعالى :

« لولا إذْ سَمعْتموهُ ظَنَّ المؤمنونَ والمؤمناتُ بأنفُسِهم خَيراً وقالوا هذا إفكٌ مُبِينٌ » أى افْتراء واضحٌ .

ثُــم عَلَّمَ اللهُ المؤمنين أن اسْتِسْهَــالِ الطَّعْــنِ فى أَعراضِ النــاس وشرفِهم ليس بالأمرِ البسيطِ الهَيّن فقالَ تعالى فى نفس سورة النور:

« وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وهو عِندَ اللهِ عظيمٌ »

كما نبه المَوْلىَ عَزَّ وجلَّ المسلمين إلى عدمِ تَتبعْ خُطواتِ الشيطان فإنه يَأمر بالفحشاءِ والمنكر .

ثم عَادَت الآياتُ تُحذّرُ من رَمْىّ المحُصَنَات فقال تَعالى :



« إن الذين يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ (١) الغَافِلاتِ (٢) المؤمناتِ لُعِنُوا فى الدُّنياَ والآخرةِ وَلَهُمْ عَذابٌ عظيــمٌ ، يومَ تَشْهَدُ عليهم أَلْسِنَتُهم وأَيْدِيهم وأرْجُلُهــم بما كانوا يَعْمَلُون يَــوْمئذٍ يُوفِيّهــمُ اللهُ دِينَهُم الحقَّ ويعلَمُونَ أنَّ اللهَ هوَ الحقُّ المُبِين » (سورة النور آية ٢٣ ـ ٢٥)

---

(١) الشريفات

(٢) اللاتى لا يخطرُ على بالهِن الفسقُ والفجورُ والخيانةُ

غزوةُ الأحزاب
الخَنْدَق
(العام الخامس للهجرة)



لَمْ يَكُنْ خُروجُ بَنِى النَّضِيرِ مِنَ المدينـة بالأمرِ الهَيِّن على نَفوسِهم لَقَد مَلأَ قلُوبَهم الحَسَدُ والبغضاءُ لِذلَك الرسولِ الذى جَاءَ بدَعْوةٍ انتزعَ (١) بها مكـانتَهُم الـدِّينية فى المَدينَـةِ ولَقد تَظَـاهَرَ بنُـو النَّضيرِ عندمَـا رَحَلُوا عـن المدينة بـالتَجَلُّدِ (٢) والصَّبرِ بَـلْ والغِبطَــة (٣) والسُّرورِ إلاَّ أَنَّ قُلوبَهم كانت تَغْلِي حِقْدَاً وتَصْميماً على الانْتِقَام .

كان اليهودُ من بَنِى النَّضيرِ يُدْرِكُونَ جيداً أن قريشاً وَمَنْ حولَهَم من الأعـرَابِ يَتَمنَّونَ القضَاءَ عَلَى محمـدٍ ودعْوتِهِ . . فَلَجـأَ اليهودُ إلَيْهِم يُحَرِضُونَهم ويُنَسِّقُونَ معهم إمكانيةَ الهجومِ على المدينةِ دَفْعَةً واحدةً تقضى قضاءً مُبْرما (٤) على المسلمين جميعـاً .

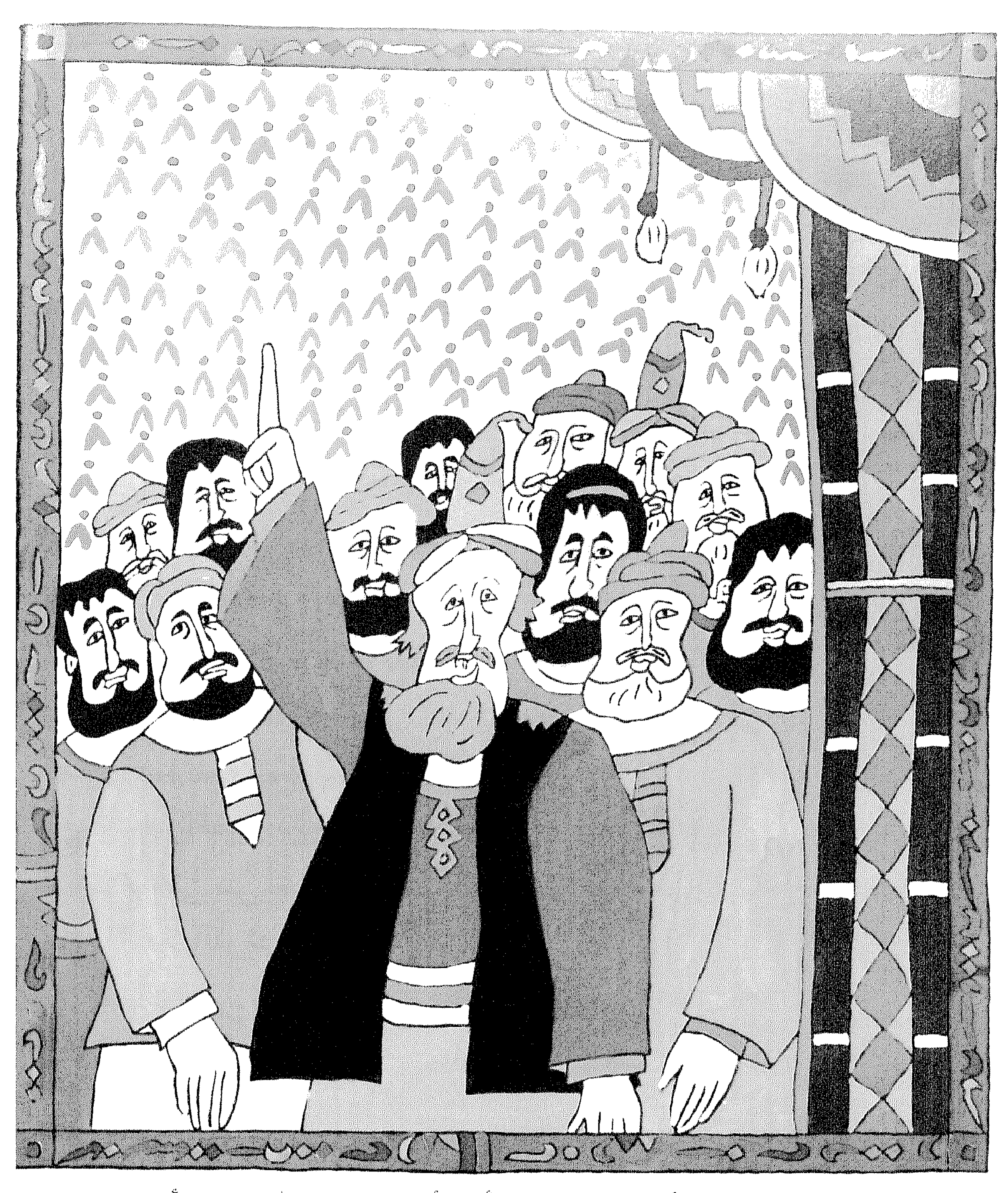
خـرج حُيَيٌّ بـنُ أَخطب فى نفـرٍ من اليهـودِ لِيجْمَعوا القبـائلَ وعندما التَقوا بالقُرشِيين سألُوهُم :

ـ يا معْشرَ يهودٍ إنكُم أهْلُ كِتابٍ أَفَدِيننَا خيرٌ أمْ دِينُ محمدٍ؟

فَردَّ اليهودُ على الفَور :

---

(١) اخذ عنوة . (٢) الصبر والتحمل .
(٣) السعادة . (٤) أكيدا وتاما .



فرد اليهود : دينكم أفضل . . وعبادة الأوثان أصح من عبادة الله الواحد الأحد !

ـ دِينُكم أَفْضَـلُ . . وعبادةُ الأوْثَـانِ أَصحُّ مِنْ عَبـادةِ اللهِ الواحِدِ الأَحدِ !! وهكذا بَلَغَ بِهِمُ الحِقدُ وأَعْمَى بَصِيرتَهم عَنِ الحَقِّ ونَافقُوا قُريشاً فأَنزل اللهُ سُبحْانَهَ :

« أَلمْ تَرَ إلى الـذين أُوتُوا نَصيباً مِـنَ الكتابِ يؤمنُونَ بِـالجِبْتِ (١) والطَّاغُوتِ (٢)، ويقولون للذينَ كفروا : هَـؤلاءِ أَهدَى مِنْ الذينَ آمنوا سَبِيـلاً ، أُولئكَ الذينَ لَعنهُـمُ اللهُ ومن يَلعَنِ اللهُ فَلَـنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرا (٣) » .

استمَرَّ يهودُ بَنُو النَّضِيرِ يَتنقَّلُونَ مِنْ قَبِيلةٍ إلى أُخرَى يَدْعُونَهم إلَى التَكتُّلِ لمُحَارَبَةِ محمدٍ ومَنْ مَعَهُ حَتَّـى اجْتَمع لَهُم مِنْ قُرَيْشٍ وَقَبِيْلَةِ أَسدٍ وَغَطَفَانَ وَسَليم ومَن تَابعَهُم عَشْرةُ آلافِ مُقاتِلٍ .



واتَّجهَ هذا الجَيشُ إلى المدينة بقيـادةِ أبى سُفيـان بنِ حَـرْبٍ فى شَهْرِ شَوَّالَ سنة خَمْسٍ منَ الهجْرةِ (فبراير ٦٢٧)

لَمَّا عَلِـم رَسُـول الله بنَبَـأ هـذا الجيـشِ جَمعَ أَصْحَـابَـهُ وراح يَشَاوِرُهم فى الأمرِ .

ـ مَاذا يَجب أَنْ نَفْعَل ؟ أشيروا علىّ .

ـ قال سلمانُ الفَارسيُّ :

« يَارَسَول الله إنَا كُنَّا بأَرضِ فَـارِسَ إذا خِفْنَا العَدُوَّ خَنْدَقْنَا (٤) علَيْنا » .

---

(١) الجبت : ما يخضع له الناس من دون الله (٢) الطاغوت : كل معبود من دون الله
(٣) النساء : ٥١ ، ٥٣ (٤) حفرنا حول المدينة حفرة لايتمكن العدو من اجتيازها



وبدأ العمل فى الخندق

وَوَافَق رَسُولُ الله وَمَنْ مَعَه على هَذِه الفِكْـرة التِى لَمْ يكُن يَعْرِفها العـربُ . . واتَّجَه الجَميعُ للطَّـوَافِ حَـولَ المدينـة وتَحديدِ أمـاكـنِ الضَّعِـفِ التى يمْكـنُ أَنْ يَتَسرَّبَ منْهَـا العَـدوُّ واتَّفقَ الجَميـعُ على إقَامَةِ الخَنْدَقِ فى شَمَالِ المدينة وراءَ جبل (سَلْع) [1] .

وهكذا بَدَأَ العَمْلُ فى الخَندَقِ وأَخْبَرَهُـم رَسُولُ الله بقربِ العدوِ منهم وسرعةِ العملِ واستعَان المسلمونَ بـاليهود من (بَنِى قُرَيَظة) فى إِمْدَادِهِم بالآلاتِ والعُدَدِ وكـانَ بَيْنَهم وبينَ رسولِ الله عَهدٌ أَلاَّ يَمالئُوا [2] عَليهِ أَحداً ولا يُناصِرُوا عَلَيْه عدُوًّا .

رَاحَ المسلمُونَ وَمعَهم رسُولُ الله يَحْفُرونَ الأرَض ويَحْمِلونَ التُّرابَ فى ثيابِهم مِنْ شدَّةِ السرعةِ . . ورَاحَ رسُول الله يُشَجعُ عَمَليَّةَ الحَفرِ ويَرتجِزُ [3] بَعْـضَ الأنَـاشِيـدْ لِحَثِّهـم وكـان كُلَمَا ضَربَ ضَرْبـةً فى الأَرضِ قَالَ :

« اللَّهُم إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخرةِ ، فَاغْفِر للأنْصَارِ والمُهَاجِرة» .

وكـان صلَّى الله عَلَيهِ وسَلَّـم يَرْتَجِزُ بِكلماتِ عَبْـدِ الله بْنِ رَواحَـة والمسلمُونَ مِنْ خَلْفه يُرَدِّدُونَ :



(١) جبل فى أطراف المدينة من ناحية الشمال

(٢) يمالئوا : يساعدوا

(٣) ينشد

اللَّهُمَّ لَوْلَا أنت مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إن لَاقَيْنَا
إِنَّ الذِين قَدْ بَغوا عَلَيْنَا ... وإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

ثُمَّ يَرْفَعُ صَوْتَهُ مُكَرِّرًا أَبَيْنَا . . أَبَيْنَا . . أَبَيْنَا [1] . .

وَلَقَدْ جَدَّ المسْلِمُونَ فِي العَمَلِ بإِخْلَاصٍ وتَفانٍ رَغْمَ شِدَّةِ البَرْدِ وقِلةِ الطَّعَامِ نَحْوَ شَهْرٍ كامِلٍ . . ثُمَّ مَشُوْا إِلَى سَلْمَانَ الفارسي فَوجَدُوه يَقِفُ حَيْرانَ أَمَامَ صَخْرةٍ استَعْصَتْ عليهِ . . فَقالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وَسلَّم :

« دَعُونِي فَأَكُونَ أولَ مَنْ ضَربَهَا . . ثُمَّ قَالَ : بِسم الله فَضَربَهَا فَوقَعَتْ فلقَة ثُلثِهَا ، فَقَالَ : « الله أَكْبَر قُصورَ الشَّامِ وَربِّ الكَعْبَة» .

ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى فَوقَعتْ فَلْقة . . فقَالَ : « الله أَكْبَرُ . . قُصُورَ فَارِسَ وربِ الكَعْبَة » .

فَبَشَّر المسلِمينَ بِفَتحِ الشَّام وَفَارِسَ واستَبْشَرَ المؤمِنُونَ واغْتَاظَ المنافِقُونَ وَراحَوا يَسْخَرُونَ ويقولون :

«نَحْنُ نُخَنْدِقُ عَلَى أَنْفُسِنَا وَهوَ يَعِدُنا قُصُورَ فَارِسَ والرُّومِ !»

وَسَّعَ المسْلِمُونَ الخَنْدَقَ وعَمَّقُوهُ حَتَّى لاَ تَتمكَّنَ الخَيْلُ مِنَ اقْتِحَامِهِ . . وَأَرْسَلُوا النّسَاءَ والأطفَالَ إلى الآطَامِ [2] وَعَسْكَرَ



(١) رفضنا (٢) الحصون

رَسُولُ الله عِنـدَ مَكانٍ مُنْخفـضٍ وَجعَلَهُ ظَهْـرَه إلَى الجَبلِ وَاسْتقْبَـلَ العدُوَ بِـوجْهِهِ مِنْ نَاحِيـةِ الخَنْدَقَ . . وَكانَ قَـد جَمعَ الثِمار وحَصدَ الغِلاَلَ لِيُؤَمِّـنَ الجَيشَ الإسلامِيَّ . . وَكَـانَ المسْلِمونَ يَؤمئذٍ ثـلاَثَةَ آلاف مُقاتِلٍ وعدد فُرسَانِهم ثَلاثوُن فَارساً .

وبعد أَنْ فَـرَغَ رَسُولُ الله مِـنْ هَذِهِ التَّجهِيـْزاتِ ظَهَرت طَـلاِئعُ الأحَزابِ مقبلةً عَلَى المدينة ناحِيـةَ أُحد ، وَكَانَ عَدَدُهُم عَشَرةَ آلافِ مَقاتِل . . وَكَمْ كَانتَ المفاجأة حِينَ اضطَرّوا للِوقُوفِ أَمامَ الخَندقِ الَّذى لَمْ يَكُـن تَعْرفُه العَـرَبُ مِنْ قَبْل . . وَأطلَقُـوا جِمالَهُم وَخُيولَهم لِتَرْعَـى فِى المرَاعِى ، وَلَكِـن رَسُول الله كَـانَ قَـدْ أَمَر المسْلِمينَ بِـأَنْ يَحْصُدوا زَرْعَهُم فَكانَتَ المدينةُ جَدْبَاءَ (١) . . وَلَمْ يكُن مَعَهُم مؤُوْنَة كَافِية لِظنّهم أَنَّ الأَمرَ سَينَتهى فِى يَومٍ أَوْ بَعْضَ يَوْم .



طَالَ التربُّصُ والانتظارُ وليـس بينَهم وبينَ المسلمينَ إلا تبادلُ السّهامِ والنِبـالِ وبدأَ اليـأسُ يدبُّ فى صُدورهـم فخافَ حُيَـىُّ بنُ أخطَبَ أن تَضيع الفـرصةُ من بينِ يديـه ويسأم (٢) الأحزابُ مـن طُول المقامَ فيرجِعُوا .

فَكَّر حُيىُّ بنُ أخطب فى مَكيدةٍ يدخلُ بها المدينة ففكَّر فى يهودِ بنى قُـريْظَة وكَـان بنوُ قـريظَة لا يـزالونَ على عَهـدهِم لـرسولِ الله

---

(١) لازرع فيها (٢) يمل



وكم كانت المفاجأة حين اضطروا للوقوف أمام الخندق



فذهب حُيي بن الأخطب إلى زعيمهم كعب بن أسد

فذهبَ حُييٌّ بنُ أَخطب إلى زعيمِهم كعبِ بنِ أسدٍ وأغلقَ دونهَ البابَ وراحَ يُرغِّبُهُ فى التعاونِ مع قُريش وبقيةِ القبائلِ للقضاءِ على محمدٍ . . فرفضَ كعبُ بنُ أسدٍ فى أولِ الأمرِ وظَلَّ حييٌّ يرغِّبهُ ويَعِدُه بالوعودِ ويُمَنيهِ بالأمانى حتى وافقَ على خِيانةِ محمدٍ وطعن المسلمين من الخلف .

وَعلِمَ صلَّى الله عليهِ وسلمَ بهذه الخيانةِ وبما عَزمَ عليهِ يهودُ بنُى قُريظَةَ وراحَ يُفكِّرُ كيفَ يَدْخُل عليه الأحزابُ فى عشرةِ آلافِ مُقاتلٍ مؤيَّدين من يهودِ بنى قُريظةَ ويتمكنُ من التغلُّبِ عليهم؟ فكَّرَ رسولُ الله أولاً فى محاولة مُخاطبتِهم بالعقلِ فأرسلَ إليهم سعدَ بنَ مُعَاذٍ سَيدَ الأوسِ وسعدَ بنَ عُبادَةَ سَيدَ الخزرج لِمخَاطَبتهم بالتى هِىَ أحسَنُ وتذكِيرهِم بِالعهدِ الذى بينهم وبينَ رسولِ الله فَمَا كانَ جَوابُهم إلاَّ أن قالوا :

« لا عَهْدَ لَهُ عِنْدَنَا »

فَذَكَّرهم سعدُ بنُ معاذٍ بِمَا حَدَث لِبنى النَّضير جَزَاءَ خيانتِهم . . فراحُوا يَقْذِفُونَه بِأَحَطِّ الألْفاظِ وَيُهَدِّدُونَه هُوَ وَمنَ معه منَ المسْلِمين ثم رَجعَ سعدُ إلى رَسُول الله مُسْرعًا لِيخْبِرَهُ بِغدْر يهُودِ بَنِى قُريْظَةَ ! .

وَصَلَ خَبَرُ هذهِ المؤامرةِ الدَّنِيْئَةِ إلى مَسَامِعِ المسْلِمِينْ وقَد أَجْهَدَهُم حَفْرُ الخندقِ والتربصُ الدائمُ واليقظةُ المستمرةُ ليلَ نهارَ . . فاشتدَّ البلاءُ وعَظُمَ الخوفُ خصُوصاً أنَ الأحزابَ أَمْعَنُوا فى تحرُّكاتِهم .



يقولُ تعالى فى وصفِ حالِ المؤمنينَ عندما رَأَوْا المشركينَ يُشعلُونَ النـارَ ويَنْشَطُون فى تحركـاتِهم : «إذ جاءُوكـم من فَـوقِكُم ، ومـن أَسفَـلَ منكـم ، وإذْ زاغـتِ الأبصَارُ وبلغـتِ القلـوبُ الحنـاجـرَ وتظنـونَ بالله الظُّنُـونَـا . هُنالـك ابتُلِىَ [1] المؤمنونَ وزلـزلوا زِلـزالاً شَدِيدًا [2]» .

وراحَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ يُهدِّىء من رَوْعِهم ويقولُ :

« والذى نَفْسِى بيـده ليُفرِجَنَّ اللهُ عنكم ما تَـرَوْنَ من الشِدَّةِ ، وإنى لأَرجُو أَنْ أَطوفَ بـالبيت العَتيق [3] آمناً ، وأَنْ يَـدْفعَ اللهُ إلَىَّ مفاتيحَ الكعبةِ ، وليُهلِكَنَّ اللهُ كسرى وقَيْصرَ ، وَلَتُنْفِقُنَّ كنوزَهُمَا فى سبيلِ الله » .



وقَهْقَهَ المنافقـونَ ووجدوا الفرصةَ سَـانِحةً للسُّخريةِ مـن محمدٍ لإضعَافِ الروحِ المعنويةِ لدَى المسلمينَ . . وقالَ قائلٌ منهم :

أَيَعِدُكم محمـدٌ أَنْ يَفْتَحَ كنوزَ كِسْرَى وقَيْصَر ، وأَحَدُنـا اليومَ لا يأمـنُ على نَفسِهِ أَنْ يَذْهَـبَ إلى الغائِطِ [4] ؟ !وَلَمْ يكتفِ المنـافقون بزعـزعة إيمانِ المقاتلينَ بَـلْ راحوا يَتَسَلَّلُونَ هَربـاً الواحدُ تِلْـوَ الآخرِ ويقولونَ إِنَّ بُيوتَنا عَوْرة [5] .

---

(١) امتحن المسلمون فى ايمانهم (٢) سورة الأحزاب ١٠ ـ ١١ آيات متصلة

(٣) الكعبة (٤) الخلاء لقضاء حاجته

(٥) عورة لابد من الحفاظ عليها وسترها يعنى أُسرهم



عمرو بن ود من زعماء المشركين

فنزلَ قولُ الحقِ تباركَ وتعالى لِيفْضَحَهُم فَقَالَ تَعَالَى :

« وإِذْ يَقُولُ المنافقونَ والذينَ فى قُلوبِهم مرضٌ : ما وَعَدَنا اللهُ ورسُولهُ إِلا غُرُورًا و إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهم يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لكُم فَارجِعُوا وَيَسْتأذِن فَرِيْقٌ مِنهُم النَّبِىَّ يقولون : إِنَّ بيُوتَنا عورةٌ ، وما هى بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيْدُونَ إِلاَّ فِرارًا [١] » .

نَشطَ فُرسَانُ المشركينَ فَراحُوا يطُوفُونَ بِالخَنْدَق يبحَثُونَ عَنْ مضيقٍ يَدْخُلونَ منْه حَتىَّ عَثروا على مكانٍ ضَيِّقٍ أَغْفَلَ المسلمونَ حِراستَهُ فَعَبَر منهُ عَمرو بنُ وِدٍّ وكَانَ بطَلا مَعْروفاً بِالشَّجَاعةِ والإِقدَامِ لاْ يَقُومُ لَهُ رَجُلٌ مِن العَرَبَ أَيَّا كَانَ ، شديدَ الاعتِزازِ بنفسهِ والثقةِ فيها وعلى الرغمِ من بلُوغِهِ التسعينَ من عُمرهِ إِلاَّ أنه كانَ صلباً قوياً شدِيدَ البأسِ . . فلما عَبرَ الخندقَ راحَ ينادى : هَلْ مِنْ مبارزٍ . . فتقدم علىٌّ بنُ أَبى طالِب فلما رَآهُ عمرُو سَخرَ مِنْه وقالَ لهُ : « لم يا بنَ أَخِى ؟ فوالله لاَ أحبُ أنْ أَقْتُلكَ » .



فقالَ له علىٌّ : وَلكِنّى واللهِ أُحِبُ أَنْ أَقْتلكَ . . فَحَمِىَ عِنْدَ ذَلك عَمْرو وَنَزل من فرسِهِ فعقرهُ بالسيفِ ، ثُمَّ أَقْبلَ عَلىَ علىٍّ فسَّددَ إِليهِ ضربةً قوية اتَّقَاهَا عِلىٌ بِدُرْقَتِهِ [٢] وَأَصَابَ السيفُ رَأْسَ عَلىٍ فَشَجَّهُ ، فتَقَهقَرَ لَهُ عِلىٌّ فَجعَل عمرُو يُلاحقُه بِضرباتٍ

(١) الأحزاب ١٠ـ١٧ (٢) درقه معناها : ترس (درع) من الجلد



وانتهزت يهود بنى قريظة الفرصة وقرروا ان يُغيروا على المدينة ليلاً

سَرِيْعةٍ وَجَعَل عِليٌّ يَتقَهْقَرُ لَهُ ويُخَادِعُـهُ . . حَتَّى خُيلَ إِلَى عمرو أَنَّ هَناكَ مَن يُهَاجِمُه مِنْ خَلْفِه ، فأدَارَ رَأْسَـهُ لِيَنْظُرَ فَعَاجلهُ عِليٌّ بِضرْبةٍ خَاطفةٍ أَطاحَـتْ سَاْقَه عَنْ جَسَدِهِ فأَمْسكَ عمرو بِسـاْقِهِ المَقْطُوعَة فَضَربَ بهَا وجْهَ عَلىّ ، وَلَكنه أَخَـذَ يَترنح [1] بَعْدَ ذلكَ حتىَّ سَقطَ على الأَرْضِ فَأقْبَل عَليْه عِليٌّ فَأَغْمدَ فِيْهِ السَّيفَ حَتىَّ قَتلَهُ . . فَوَلَىَّ أَصحَابُه هاربينَ .

قَرَّرَ المشركُـونَ أَنْ يَقُومُـوا بِهجُوم مُكَثفٍ فَعَبَّـأوا رِجَالَهم وَفَـرَقُوا كَتائبَهُم وَكَـانَ عَلى رَأسِ هَذَا الهُجُومِ خَالِدُ بنُ الـوليدِ . . وَاسْتَمرَ القتالُ عنيفاً حَتىَّ جاءَ الليلُ ولمْ يتمكنْ المسلمونَ مِنْ صلاةِ الظهر ولا العصرِ ولا المغـربِ ولا العشـاءِ حَتـىَّ بَلـغَ الإِعيـاءُ مَـدَاهُ ثُـمَّ انْصَرفتِ الأَحْـزَابُ مِنْ شِـدَّةِ ماْ لاَقَـتْ مِنْ مُقـاْومةِ المسلمينَ . . فَأمَر رَسول الله بِلاَلاً فَأَذَّنَ وَأَقَام لِلظُّهْرِ وَأَقاْمَ لِكلّ صَلاْةٍ إِقَاْمةٍ [2] .



وانتهزتْ يهودُ بَنِـى قُرِيْظَةَ الفـرصةَ وقـرروا أَنَّ يُغيْروا على المدينةِ ليـلاً . . وعلمَ رسـولُ الله بذلـكَ . . وكانـت الجِراحُ قد أَثْخَنَـتْ المقاتلينَ المسلمينَ . . وفى حَـاجةٍ مَـاسةٍ إلى شـىءٍ من الراحةِ كى يستعيـدوا طَـاقَـاتِهم . . وبـدأَ اليهـودُ فى محاولـةٍ لتطـويـقِ

(١) يتأرجح ويهتز ألما .

(٢) الاقـامـة أن يقـول « الله أكبر الله أكبر، أشهـد ألا إلـه إلا الله ، وأشهـد أن محمـداً رسـول الله ، حى على الصلاة ، قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة .

المسلمينَ حَتـىَّ جَعَلُـوهم فى مِثْـلِ الحصـنِ وأَخَـذُوا بِكُلِ نـاحيـةٍ منهم . . وزُلـزِلَ المسلمون زِلزالا شـديداً وكادُوا يفقـدونَ الأملَ فى النجاةِ . . وعندئذٍ اتجه سيدُ الخَلـقِ بكلِ جوارحه [١] إلى ربِ السمواتِ والأرض« اللهـمَّ إِنِىّ أَنْشُـدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْـدَكَ . اللهمَّ إِنَـكَ إِنْ تَشَأ لا تُعْبَـدُ اللهـمَّ ادفعْ عنَّـا شَرهُـم وانُصرْنَا عَلَيْهـم لاَ يَغلبُهم غَيرُكَ » .

وهرولَ المسلمونَ إلى رسولِ الله يسأَلُونهَ ماذا يَقُولُونَ فى مِثلِ هذا الموقفِ العصيبِ . فقَال لهم قُولُوا :

« اللهمَّ استُرْ عَـوْرَاتِنَا ، وآمنْ رَوعَـاتِنا » واستمرَّ هـذا الحصارَ أكثرَ من عشرةِ أيامٍ .



وجَاءَ الفرجُ :

وجاءَ الفرجُ على يدِ نُعَيم بنِ مَسْعُودٍ الأشْجَعِىّ فقد أسلمَ فجأةً وذهبَ إلى رسولِ الله وقال له :

ـ يا رسولَ الله إنى قد أَسْلَمْتُ ولم يَعْلَمْ قَومِى بإسلامى فَمرْنِى بما شِئتَ .

فقالَ لَهُ :

ـ إنّما أنـتَ رجَـلٌ واحـدٌ من قبيلـةِ غَطَفَـاَنَ ، فلـو خَـرَجْـت فَخذَّلت[٢] عنـا ـ إن استطعـتَ ـ كانَ أَحـبَّ إلينـا مـن بقـائِكَ معَنا . . فاخْرُجْ فإن الحربَ خُدْعَة .

(١) الجوارح : كل أعضاء الجسد (٢) خوَّفت القوم منا

ثم خرج نعيم بن مسعود بعد ذلك متجهاً إلى قريش

فخَرَجَ نُعَيْم بنُ مسعودٍ حتى أَتـىَ يهودَ بنَى قُرَيْظةَ . . وكانتْ علاقتُه بهِمْ قويةً فقال لهم :

يا بنى قُرِيظةَ ، قد عَرفتمُ وُدّى نَحوكُمْ وحِرْصِى عليكُمْ . .

قالُوا : قُلْ فلَسْتَ عِنْدَنا بِمُتَّهَم .

فقَالَ : إن الأحـزابَ ومنهم قبيلةُ قـريشٍ وقبيلةُ غَطَفَـانَ ليسُوا مِثلَكُـم . . فهم قـد حَضَرُوا لقتـالِ محمـدٍ ولكنَّ بيُـوتَهم وأمـوالَهمُ ونساءَهُم وأبناءَهُم فى أمانٍ ، فَسَواءٌ انتصروا على محمدٍ أو لم ينتصرُوا فسيعـودُون آمنينَ إلى أهلِيهم ومسـاكِنهـم . . أمـا أنتُم فتسكنـون المدينةِ فى جِـوارِ محمدٍ وأصحابِهِ فـإن هُزِمَ الأحزابُ هَجَـمَ عليكم المسلمونَ لينتقموا منكُم ومن خيانتِكم للعُهود .



قالوا : وماذا نصنعُ وَقدْ اتَّفقْنَـا مع حُيَىّ بن أخطب على الغدرِ بمحمدٍ وتمكينِ الأحزاب من المدينة .

قال لهم : إذنْ لا تُقَاتلُوا مع الأحزابِ حتى تأخذُوا عشرةَ رجالٍ منهـم كَرهِينـةٍ فإنْ تَـمَّ النصرُ سَلَّمْتُموهُـم وإن حدَثَ غيرُ ذلـك اضطـرت الأحزابُ إلى العـودةِ لإنقاذِ رجـالِها فلا يترُكـوكُم لمحمـدٍ وصَحْبِه .

ثم خرجَ نُعَيْـمُ بنُ مُسْعُودٍ بعدَ ذلك مُتجَّهاً إلى قـريشٍ ، وقَال لَهُم :

ـ قَـدْ عَرَفْتُمْ ودّى وحُبـىّ لَكُمْ معشَر قـريشٍ كما أنَّكُمْ تعـرفونَ خِلافِى مع محمـدٍ وقد بلَغنى أمرٌ خطيرٌ أريدُ أن أُبَلغْكُمـوهُ فاكتُموا علىَّ .

قالوا : تحدثْ يا نُعَيْمُ فأنت عندَنا أهلُ ثقةٍ .

فقال : إن يهودَ بَنِـى قُرَيْظَـةَ قَدْ نَدِمُـوا على نَقْضِهِم العَهْـدَ معَ محمدٍ وقد أَرسَلُوا إليه أنهم نَدمُوا على ما فَعلُوا وقالُوا له :

هل يُـرْضيكَ أنَ تَـأخُذَ مـن قُريـشٍ وغطَفَانَ رجـالاً ونُسِلّمهمْ إليـكَ تَضْرِبُ أَعناقَهُـم ، ونكونُ مَعـكَ على من بَقـىَ منْهُمْ حتـى تَقْتُلَهُم جميعاً ؟



ثُم تـركَ نُعيمٌ قـريشاً وقَدْ وَقعَـتْ فى ذُهُولٍ تـامٍ واتَّجه إلى قَبيلةِ غَطَفَان وقال مثلَ ذَلكِ . .

ولما كانـتْ ليلةَ السبتِ أَرْسَـلَ أبو سفيـانَ إلى بنى قُرَيْظَـة أحدَ رجالهِ ليقُولَ لهم :

ـ اسْتعِدُّوا صَبيْحةَ غدٍ للقتالِ حتى نَنْتَهِىَ من مُحمَّدٍ . .

فأرسلوا إليه مَنْ يقولُ :

غداً يـومُ السبتِ وهـو يومٌ لا نَعْمَـلُ فِيه . . ونَحْـنُ لَنْ نُقـاتِلَ معكم إلا إذا أَعطَيْتُمونَا بَعْضَ رِجَالِكُم كَرُهَنَاء ليكُونوا تحتَ أيدينا فإننا نَخشَى إذا غَلَبَكم مُحمدٌ أَنْ تَعـودُوا إلى بلادِكُم وتتركُونا لمحمدٍ ورجالهِ ولا طاقة لنا بِهِمِ .



أرسل الله عليهم رياحاً شديدة

فلما رَجَعَ الـرسولُ وأَخبَرهمُ تيقَّنُوا مـن كلامِ نُعَيْمِ بـنِ مَسعودٍ فَردوا إليهم الرسُول وقالوا : والله لا نُعطيكم رهنا أبداً .

فقال بنُو قريظة . . صَدَقَ ـ والله ـ نُعَيْمُ بنُ مسعُودٍ

وهكذا نجحتْ الخُدْعَةُ واختَلفَتْ كَلِمتُهـمْ وقلُوبُهم وكانَ مِنْ فِعلِ الله تَعالى و إلهامِـه وفى نَفسِ الوقتِ الذى غَلَـتْ دماءُ الكفارِ فى عُرُوُقِهـم وانعدَمَتْ الثقُـة واهْتزَّت الأعصابُ أَرْسَـل اللهُ عليهم رياحاً عاتيةً فى ليلةٍ شديـدةِ البردِ حَالِكةِ الظَّلام اقْتلَعتْ خِيامَهُمْ وكَفَأت قُـدورَهمْ وأُطْفِئَتْ نِيرانُهم وكـانتْ الـرِيَاحُ تُصَفّر بطـريقةٍ أَلْقـت الـرُّعْـبَ فى قُلـوبهم فقامَ أَبُـو سفيـانَ يَصِيـحُ : يـا معشَر قُريشٍ . . لقد هَلَكَ كُلُّ شىءٍ من شِدة الرِّيح وكادتْ تهْلَكُ الإبِلُ والخَيْلُ مـن شِدَّةِ الجُوعِ وخَـانَنَا يَهُودُ بَنِى قُـريْظَة فـارْتَحِلوا (١) إنِّى مُرْتَحِلٌ . .



ثُمَّ قَفَزَ على جَمَلِـهِ . . وضَربَهُ فانَطَلَقَ عائِداً . . فـانطلَقَ القومُ خَلْفهُ هاربينَ من شِدَّة الفزعِ الذى أَصَابَهُمُ .

ومع إشراقِة الفَجرِ نَظَر رسولُ الله وَمَنْ حَـوْلَه فإذا بَقايَا القُدورِ منكفِئة وَقَدْ غَطَّتْهَا الرِمّالُ ولا أَثَر للعَدُوِّ .

فَأيْقنَ المسلمونَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَيَّدَهُـمْ بنصرِهِ . . ثُمَّ هَتفَ صلَّى الله عليهِ وسَلَّم وَهتفَ أَصْحابُهَ من وَرائه .

---

(١) يقصد عودوا إلى دياركم .

« لا إلـه إلا الله وَحْـدَهُ . . صَدقَ وَعْـدَهُ . . ونَصَر عَبْـدَهُ . . وأَعَزَّ جُندَه . . وَهزمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ » .

وَنَزلَ قَوْلُ الحَقِ تَبارَكَ وتَعالَى فى سُورةِ الأحزَابِ آية ٢٥

« وَرَدَّ اللهُ الذينَ كفرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ ينالُوا خَيْرًا ، وكَفى اللهُ المؤمنَينَ القِتَالَ ، وكانَ اللهُ قَوياً عَزيزاً » [١] .

وقـال تعـالى : يأَيها الـذيـنَ آمنـوا اذْكُروا نِعمـة الله عَلَيْكـم إذ جَاءَتْكُـم جُنودٌ فـأَرْسَلْنَا عَلَيْهم رِيحاً وجُنُـوداً لَمْ تَرَوْهَـا وكانَ الله بما تَعْملُونَ بصيراً (٩) إذ جَاءُوكُم من فَـوْقِكُم ومِنْ أَسْفَلَ مِنْكُم وإذ زَاغَتِ الأَبْصارُ وَبلغَتْ القُلُوبُ الحَناجِرَ وتَظُنونَ بالله الظُّنونا (١٠) هُنالِكَ ابْتُلِي المؤمنونَ وَزُلزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً (١١) [٢] .



غَزْوَةُ بَنى قُرَيظَة

سُبْحَانَ اللهِ فى أَمْرِ هَؤلاءِ اليهودِ إِنَّ تَـارِيخَهُم فِى المدِيْنَةِ سِلْسِلَةٌ مِنْ نَقْضِ العُهَودِ والغَدْرِ بِـالمسْلمين . . وكان رَسُوْلِ الله يرغب فى العَيْـشِ مَعَهُـم فِى أَمَـانٍ لأنَّهم أَهْـلُ كِتـابٍ سَماوِيٍ ولأَنَّ الإِسلامَ لايُفَرِّقُ بَيْنَ الأنبيَاءِ (لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ من رُسلِهِ) [٣] فَالمفْرُوضِ أَلاَّ

(١) الأحزاب : ٢٥ (٢) الأحزاب : ٩ : ١١

(٣) البقرة : ٢٨٥

يَكونَ بَينَ أَهلِ الكِتابِ خِلافٌ مع محمدٍ . . الَّذِى نَزَلَ عليهِ الْقرآنُ لِيُحَافِظَ عَلَى سِيْرَةِ موسِى والتوراةِ وعيسى والإِنْجيْلِ . . وَلَكِنْ بَاءَتْ كُلُّ مُحَاْوَلاتِ رسُولِ اللهِ بِالْفَشل . . وَبَعدَ أن وَلَّت الأَحزَابُ هَارِبةً كَاَن لاَ بُدّ لَهُ مْن أَنْ يَتوَجَّه إِلى يَهُود بنى قُريظَةَ لينتِهىَ منْهُم تَمْاماً إِذْ اثْبَتَتِ الأَيامُ استِحالةَ الاطْمِئْنَانِ لَهُم والحَياةِ بِجوارِهمْ .

« والحُق أَنَّ عملَ بنى قُرِيْظَةَ لم يَكُنَ غَدْراً بالعهودِ فَقط بل كانَ طَعناً من الخلفِ لَمَّا أدارَ ظهره لهم ووثِقَ بهم . . فماذا يكونُ جزاءُ هذا الغدرِ فى عُرفِ القانونِ الدَولِى ؟ وماذا يكونُ جزاؤُهُم فى عُرفِ الدينِ والحقِ والعدالةِ ؟ (١) .



ماذا يفعلُ رسولُ الله فِيمْنَ أَرادوا أَنْ يُبيدوا (٢) المسلمينَ جميعاً ويقتلُوه . . هل يمكنُ أَنْ يأمنَ لَهم ويتركَهم بجوارِه يعرفونَ أسرارهُ ويُذيعُونَها على الأعداء ؟ هل يمكنُ أَنْ يطردَهم من المدينةِ كما فعلَ من قَبلُ مع بنى النضيرِ فراحوا يؤلبونَ عليهم القبائل ويُحَزِّبُونَ الأحزابَ ؟

من أَجلِ ذلكَ قررَ رسولُ اللهِ الإسراعَ فى مُباْغَتَتِهم (٣) فى عُقْرِ دارِهِم قَبلَ أن يستعدّوا للحرب . فما كادَ يُصَلّى الظهرَ من يومه حتى أَمَرَ بلالاً ينادى فى الناسِ قائلاً :

---

(١) صور من حياة الرسول ـ أمين دويدار (٢) فناء ـ الانتهاء من حياتهم

(٣) مفاجأتهم



فاندفع المسلمون يحملون سلاحهم ويتجهون إلى يهود بنى قريظة

« مَنْ كَانَ سامعاً مطيعاً فلا يُصَلّيَنَّ العصرَ إلا فى بَنِى قُرَيْظَةَ »

فـاندفـعَ المسلمونَ يحملـونَ سَلاحَهـم ويتجهونَ إِلَى يهودِ بَنِـى قـريظةَ ولَمْ يـأتِ العِشاءُ حتـى كان المسلمـونَ يحاصرونَهم بِكامِـل عَدَدِهِم وَعُدَّتِهـم ثَلاثَةُ آلافِ راجِلٍ [1] وستةٌ وثلاثون فارساً .

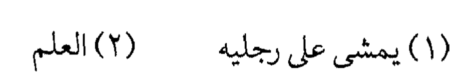
ودفعَ رسولُ الله اللواء [2] إِلى عَلَىِّ بنِ أَبِى طالبٍ . . وحَاصَرهُم المسلمـونَ خمساً وعشريـنَ ليلـةً . . حَـاولَ اليهودُ مـن خِـلالِها أَنْ يَتطاوَلوا بـالشَتائِم من فوق حُصـونِهم . . ولكنَّ المسلمينَ لَمْ يَرُدُّوا وقالوا : السَّيْفُ بَيْننا وَبَيْنكُم .



وطاَلَبَ اليهودُ أَنْ يُسْمَحَ لَهُمْ بالخُرُوجِ منَ المَدِيْنةِ ومعَهم النساءُ والأطفالُ فَـرفضَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليـهِ وسلَّم لِما يُمْكِـنُ أَنْ يَفْعَلوه ضِدَّ الإسلام عِنْدَماْ يَخْرُجُونَ .

وَظَلَّ يَهُوْدُ بَنِى قُرَيْظَةَ فى مُفاوَضاتٍ وَجَدلٍ مَعَ رسولِ الله حتى نَزَلـوا عَلَى حُكم رسـولِ الله صلَّى الله عليهِ وسلـمَ ، فَأَمـرَ بِرجَالِهم فَكُتِّفُوا بـالحبالِ ونُحُّـوا ناحيةً وأُخْـرِجَ النساءُ والـذُّرية فَجُعلُوا فى ناحيةٍ أُخرى . . وعِنْدَئِذٍ تَدخَّل رِجَالُ الأوَس فى مُحاوَلةِ أَنْ يُعَاْمِل بَنِى قُرَيْظة حُلفاءَ الأَوْسِ كما عـامَل بنى قَينُقاعَ حُلفاء الخَزرج وأَنْ يَقبلَ فيهم شَفَاعتَهُم كَماْ سَبقَ وَقبل شَفاعةَ ابنِ أُبَى فى بَنِى قَينُقَاع .

فَقَال رسُولَ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم :



(١) يمشى على رجليه (٢) العلم



وحمل سعد على حمار والتف حوله اليهود

« أَلا تَرْضَوْنَ يا معَشر الأَوس أَنْ أَجعَل بَيْنِى وَبَيْنَ حُلفَائِكم رَجُلاً مِنكم » ؟

قالوا : بَلَى

قال : « فَقُولُوا لَهم فَلَيَخْتارُوا مَنْ شَاءُوا » .

فاختارَ اليهودُ سعدَ بنَ مُعاذٍ سَيِّدَ الأَوْسِ . . وكانَ سعدُ جَريحاً مِنْ سَهْمٍ أَصابَهُ فى الخندقِ وَكَانَتْ تُعَالِجُهُ فى خَيمةٍ إحْدَى المرضاتِ تُسمىَّ (رُفَيْدَة) .



وَحُمِلَ سَعْدُ عَلَىَ حِمارٍ والتف حَوْلَهُ اليهودُ يُوصُونهُ بِالرحمةِ والإحسان إِلَيْهِم وَهُوَ سَاكِتٌ لا يتكلَّمُ فَلمَّا أَثْقلوا عَليْه قَال :

« لَقدَ آنَ لِسَعْدٍ أَلاَّ تَأْخُذَهُ فِى اللهِ لَومةُ لائِم » .

وَلَمَّا وَصل سَعدُ إِلَى مَجلس رَسُول الله قالَ صلىَّ الله عليه وسلمَ : قُومُوا لِسيِّدكُم ثُمَّ نَظَر إِلَى سَعْد وقَالَ : « احْكُم فِيهم يَا سَعْد » .

فقال : الله ورَسُوله أَحَقُّ بِالحُكْمْ

قال : قَدْ أَمركَ اللهُ أَن تَحكمَ فيهم

فَنظرَ سَعْد إِلى بَنِى قُرِيظَةَ وقَالَ : أَتَرْضَونَ حُكمِى ؟ قالوا : نَعَمْ

قال : فإِنى أَحْكمُ أَنْ تُقْتَلَ الرِجالُ ، وَتُقسَّم الأموالُ ، وتُسبىَ الذَّرارِى وَالنسّاء .

فقال رسول الله : « لَقَد حَكمتَ فِيهم بحُكم الله مِنْ فوقِ سَبعْ سَموات »

وهكذا جَاء الجزاءُ مِنْ جنس العَمل . . وَهُوَ الجَزَاءُ الذى يَحْكُمُ بِهِ الدِينُ وَيَحْكُم بِهِ العَقْلُ ، وَيَحْكمُ بِهِ القَانونَ قديمه وحديثهُ

وفى هَزيمْة بَنِى قُرَيْظَة يَقول تَعالى :

« وأَنْزَلَ الذِينَ ظاْهَرُوْهم مِنْ أَهْل الكتابِ (١) مِنْ صَياْصيهم (٢) وَقذَفَ فِىْ قُلوبِهمُ الرُّعبَ ، فريقاً تَقْتلُونَ وتَأسِرُونَ فَريْقاً وَأوْرثَكُم أَرْضَهُم ودِيَاْرَهُم وأَموالَهُم وَأَرضاً لم تَطئُوهَا وكَانَ اللهُ عَلى كُلِ شيءٍ قِديرا (٣) .



(١) اليهود

(٢) حصونهم

(٣) سورة الأحزاب : ٢٦ ـ ٢٧

المنَاوَشَات (١)

بَعْدَ هَزِيْمَةِ الأَحزَابِ وهَزِيمَـةِ بَنِى قُرَيْظَةَ . . هَدَأَتِ الأُمُورُ إلى حَدٍّ مَـا وانتشَر بينَ النَّاسِ خَبَرُ قُوَّةِ المُسْلمينَ وتَـأييدُ السَّماءِ لَهُمْ . . وسَرَى فى نُفُوسِهم أَنَّ دَعْوَةَ الإسلامِ لا بُـدَّ أَنْ تَكُونَ دَعْوَةَ حَقٍّ . . وَرَغِـبَ الكَثِيرُ مِنَ المُشْرِكينَ والبَـدْوِ (٢) فى أَنْ ينَضْمـوا إلى مُحَمَّـدٍ وَصحْبِـهِ . . وراحَ البعضُ منهُـم يتقـرَّبُ مِنَ المسلمينَ. وأَصْبـحَ مُحَمَّـدٌ صلىَّ اللهُ عليـهِ وسَلَّم ـ وَدينُـهُ الجديـدُ حَدِيـثَ الكَثِيريـنَ وبخَاصَةٍ القَبائلُ البَدَوِيَّةُ .



وتَقَابلَ أطفالُ المدينةِ وراحُوا يلعبونَ فَقَال أَحَدُهُمْ لِصَاحِبه :

ـ لقد انتَهَتْ الحُروبُ والحَمْدُ لله وسَنَلْعَبُ ونَلهُو كَثِيراً .

فَرَدَّ أَحدُهُمْ وكان يَبْلُغُ مِنَ العُمْرِ الرابعةَ عشرةَ :

ـ نَعَمْ لَقَد انتصَرْنَا بفضلِ الله وهَدَأَتْ الأمورُ ولكن لابُدَّ أَنْ نَظَلَّ أَيْقَاظاً لا نُلقِى السلاحَ قَطْ . . فَأَعْدَاؤُنا كَثِيرون يتَرَبَّصُونَ بِنَاً .

---

(١) مجرد مضايقات لا ترقى إلى المعارك الحربية

(٢) الذين يعيشون فى الصحراء



وتقابل أطفال المدينة وراحوا يلعبون

وقَالَ ثَالثٌ :

لابُدَّ أنْ نَكُونَ على أُهْبَةِ الاسْتِعْدَادِ لأنَّ الله تَعَالَى يقولُ :

« وأَعِدُّوا لَهُمْ ما استطَعْتُم من قُوَّةٍ ومِـن رباطِ الخَيْل تُرْهبُونَ به عدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُم »

وأَكْمَلَ الطفلُ الصَغِيرُ الآية فقال :

« وآخرينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللهُ يعْلَمهُم » (٦٠ الأنفال)

وقَالَتْ طفْلَة لا تَتَجاوزُ الحادية عشرَةَ :

لاَ بُدَّ أَنْ نُشْعِرَ أَعْـدَاءَنَا دائِماً بأَننا قُـوَّةٌ قادرةٌ على رَدِّ أَيِّ عُدْوَانٍ وتَأْديبِ المُعْتَـدِين . . حتى لا يُفكِرَ أحدٌ مـن العربِ أو اليَهُودِ فى غَزْوِ المدِينةِ .



وقَالَ طِفْلٌ رابعٌ :

أَلَيسَ اللهُ مَعنَا . . وهو سُبْحَانَه يُؤيِّدُ الحقَّ بحَولِه وقوتِهِ فلِمَاذا إذَنْ كُـلُّ هذا التَّـأَهُّبِ إنَّنـا فِى حَاجـةٍ إلى الرَّاحـةِ واللَّهْوِ والله هُـو الحَافِظُ .

فَرَدَّ عَليهِ الثَّانِى :

ـ إن الإسلامَ عَلَّمنَـا أَلاَّ نَتواكَـلَ [١] . . فـإنَّ الله لايكُونُ مـع

---

(١) تَوَاكَلَ القَوْمُ : اعتمد بعضٌ على بعض

الغَافِلِين أبَداً ولا يؤَيِّـدُ المُتَواكِلِين الَّذِين يَرْجُونَ مِنـهُ النَّصرَ والتَّأييدَ دوُنَ أَنْ يَأخُذُوا بأَسْبابِ القُوَّةِ ما استْطاعُوا .

وَفِى نَفْسِ هَذِهِ اللَّحْظَةِ . . نَادَى مُؤذِّنٌ فى مَسْجدِ رَسُول الله أَيُّهَا المسلمونَ لابُدَّ مـن الاستعدادِ وإرسالِ السَّرَايَا لِنُرهِبَ أَعـداءنَا مِنَ العَربِ والبَدْوِ واليَهُـودِ جميعاً . ولِنأخُذَهُمْ فَجْـأَةً قبلَ أَنْ يَتَجَمَّعُوا ويُصْبِحُوا قُوَّةً .

وهَكَذَا بَعَـثَ رسُولُ الله سَرِيَّـةَ ضربة . ثُـمَّ بنى لحيـان . . ثم سرية ذى قرد ثم سرية ذى القَصَّة ثم سرية الجموم وسرية العيص . . وغيرها . . وغيرها . . ، وكـانَتْ كُلُّهَا مُجَرَّدَ مُناوشـاتٍ لم يَكُنْ الهدفُ منها البَدْءَ بالعُدْوانِ . . لأن العُـدْوَان مَبْدأ لا يُقِرُّهُ الإسلامُ ولا يَرْضَاهُ . يَقُولُ تَعَالَى :

« وقَاتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ الذيـنَ يقَاتِلُونكُم ولا تَعْتَدُوا ، إن الله لا يُحِبُّ المُعْتدين » ١٩٠ البقرة .

فـالغَرَضُ مـن هَذِه السَّرايـا هو ردُّ العُـدْوانِ الَّذِى قَـدْ يَبْدأ بـه العَدُوُّ.



. . فما كَادَتِ السنة السادسة من الهجرةِ تَنْتَهِى حتى استقرتْ الأمورُ وصارَ من المُمكنِ أَنْ تقومَ عـلاقاتُ حُسنِ جِوار مع العَربِ البَدْو .

---

(١) السرية معناها : قطعة من الجيش ، ما بين خمسة أنفس إلى ثلاث مئة ، أو هى من الخيل نحو أربع مئة ، والجمع سرايا .



بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريه ضربة ثم بنى لحيان . .



وساق معه الهدى وكان سبعين بدنه

صُلْحُ الحُدَيْبِيَة

رَأَى رسُول الله صلىَّ الله عليه وسلَّم فى مَنَامـه أَنهُ دَخَلَ المَسْجدَ الحَرامَ ومَعَـهُ أَصْحَـابُـه آمنينَ مُحلِّقين رُءوسَهُـم ومُقَصِّريـنَ . . فاسْتَبْشَرَ صلَّى الله عليه وسلَّمَ وأَعْلَنَ عَلَى أَصْحَـابه هَذِهِ الرُّؤْيَا . . وقَالَ إن رُؤَى الأنبياءِ حَقٌ ولاَ بُدَّ أَنَّ الله سَيَفْتَحُ لِلمُسْلِمينَ .

وامْتَلأَتْ عُيونُ المسلمينَ بالدُّمُوعِ شَوْقاً إلى البيتِ الحَرَامِ وحَنِيْناً إلى مَكَّةَ المُكَرمةِ .



وَقَرَّرَ صلَّى الله عليهِ وسلَّم القيَامَ بعُمْـرَةٍ ولِمَ لاْ والأَمْنُ قد اسْتَقرَّ فى المدينةِ بعدَ كَسْرِ جَناحِ المُنَافِقينَ .

وحَتىَّ يقَطَـع رَسُول الله على قُـريشٍ أَىَّ حُجَّـةٍ ويؤكِّـدَ للنَّاسِ جميعا أنَّهُ أَتـى هُو والمسلمُون إلى البَيْتِ زَائرينَ مُعْتَمِـرينَ . . خرَجَ فى ذي القِعْدةِ مُعْتَمِراً ودَعَـا القَبَائِلَ العربيةَ الَّتِى تَـمَّ الاتفاقُ مَعَها على حُسنِ الجَوارِ إلى العُمْرةِ مَعَهُ . . فَخَافَـتِ القبائلُ العربيةُ من قُرَيْشٍ وظَنَّتْ أَنَّ الحرب قَائِمةٌ لا مَحَالَةَ فاعتَذرَ أَكْثَرُهُمْ لِرَسُولِ الله وتَهرَّبُوا من الإنضمام إليه . . فخرجَ صلَّى الله عليهِ وسلَّم بمَنْ مَعَهُ من المُهاجِرين والأنصارِ (ألف وخمسمائة) وساقَ مَعَهُ الهَدْىَ وكان سَبْعِينَ بَدَنَةً (١) وأَمرهُمْ الرَّسُولُ بعـدم إخراج السيوفِ من أَغْمَادِهَا

(١) تقال على الجمل وعلى البقرة التى تُنْحَرُ فى سبيل الله



بشر بن سفيان يستقي أخبار قريش



ورَكِبَ صلى الله عليـه وسلم نَاقَتَـهُ القَصْوَاءَ حتـى وَصَلَ إلى « ذِى الحُليفَـةَ » على نَحْـوِ ستـةِ أَميَالٍ مـن المدينـةِ فَصَلَّى الظُّهْـرَ ودعـا بِالبُدْنِ[1] وأَلبَسَهَا القَـلائِدَ عَلامةً على أَنَّها سَتُهْـدَى إلى الله . . ثُمَّ أَحْرَمَ[2] وأَحْرَمَ مَعَهُ أَصْحَابُه بالعُمْرةِ ورَاحُوا جميعاً يُلَبُّونَ .

« لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْـك ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْـك ، إنَّ الحَمْدَ والنِعّمَـةَ لَكَ والمُلْـكَ لاَ شَرِيـكَ لَكَ » فـأَكَّـد هَـذَا النِّدَاءُ حُسْـنَ نِيَّتِهِم .

أَمَّـا قُرَيْـشٌ فعنـدمـا وَصَلَها الخَبَرُ أَخَـذَتْهَا حَمِيَّـةُ[3] الجَاهِلِيَّةِ وصَمَّمَتْ على أَلاَّ تَسْمَحَ لِمُحمَّدٍ بالعُمْرَةِ مَهْمَا كَانَ الأَمْرُ .

وكَانَ رَسُولُ الله قَدْ أَعدَّ العُدَّةَ فأَرسَلَ بِشْرَ بْنَ سُفْيَانَ لِيستقى لَهُ الأنبـاءَ فَعَلم أَنَّ خَـالدَ بْنَ الـوليد علىَ رأْسِ مَـائَتَيْنِ من فُـرسَانِ قُرَيْشٍ خَرَجُوا لِمُلاقَاةِ مُحمَّدٍ وَعَسْكرُوا فى بَلْدَج « بالقُربِ مِنْ مَكَّةَ » ووضَعُوا على الجِبَالِ عُيوناً يراقِبونَ مُحَمَّداً وَصحْبَه .

فانْطَلَـقَ بِشْرُ بْنَ سُفيانَ وأَخْبَرَ رَسُولَ الله فَقَـال رسُولُ الله صلَّى الله عليه وَسلَّم . . « يا وَيْحَ قُـريشٍ . . قَدْ أَكلتْهم الحربُ . مَاذا علَيْهم لَوْ خَلُّوا[4] بَيْنِى وَبَيْنَ سَـائِرِ النَّاسِ ، فإن أَصَـابُونـى كانَ الَّذى أَرادُوا . . وإن أَظْهَرنِى الله دخَلُوا فى الإسلام وآخَرين ؟

---

(١) جمل أو بقرة تنحر فى سبيل الله (٢) الاحرام معناه

(٣) حميـة الجاهلية : أنفـة طيـش وغرور (فى منـع المسلمين مـن دخـول المسجد الحرام عـام الحديبية . (٤) أفسَحُوا



وبعد يومين أرسلت قريش بُدَيْل بنَ ورقاء ومعه نفر من خُزاعه

والله لا أَزالُ أُجاهدُهُـمْ عَلىَ الَّذى بَعثَنِى اللهُ بِه ، حَتَّـى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ [(١)] » .

لَمْ يَكُنْ صَلَّى الله عليه وسَلَّم يَودُّ الحَرْبَ قَـطْ وكَانَ حَريصا على أَنْ يَجْعَلَ رِحْلَتَـهُ سِلمِيةً . . وَلَكِنْ ماذَا يَفعـلُ وقَدْ جَمعَتْ قُـرَيْشُ رِجَالَهَا لِقَتالِهِ ؟ . .

فَكَّرَ صَلَّى الله عِليه وسَلَّـم أَنْ يَتَجنَّب مُواجَهتَهُمْ واتَّخَذَ طَـرِيقاً آخرَ كَـانَ شَدِيـدَ الوُعُـورَةِ فَشَعَرَ الجَمِيـعُ بِشدَّةِ الإرْهَـاقِ وعندَمـا وَصَلُـوا إلى سَهْـلٍ عنْدَ آخِـرِ الـوادِى بَـرَكَتِ القَصْـوَاء . . وحَـاوَلَ البَعْضُ أَنْ يُجبِرهَا على السَّيْرِ وَلكِنَّها ظَلَّتْ قَابعةً فَقَالُوا : حَرَنَتِ [(٢)] القَصْـوَاءُ . . فَقَالَ صَلَّى الله علَيْـه وسَلَّـم والله مـا حَرَنَـتْ وَلكِـنْ حَبَسَها حَـابِسُ الفِيل عَـنْ مَكَّةَ ـ أَىْ منعَهـا الَّذى مَنَعَ الفِيـلَ مِنْ هَدْمِ الكَعْبَةِ ـ أَىْ منعَهَا الله لِحِكْمَةٍ مَـا ـ والَّذى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا تَدْعُـونِى قُـرَيْش اليَـوْمَ إلى خُطَّةٍ يَسْأَلُـونَنِى فِيهَـا صِلَةَ الـرَّحِمِ ، وتَعْظِيمَ حُرمـاتِ الله ، إلاَّ أَعَطيتُهُمْ إيَّاهَا ثُمَّ أَمَرَ النَّـاسَ أَنْ يَنْزِلوا حَيْثُ كَانوا .



وَبعْدَ يَوْمَيْنِ أَرسلَتْ قُـرَيْشٌ بُدَيْل بْنَ وَرْقَاءَ ومَعَـهُ نَفرٌمنْ قَبيلَة خُزَاعَةَ يَسْـأَلُونَ رَسُولَ الله عن سَبَبِ مَجيئِـهِ . . فَقَالَ صلَّى الله عليه

(١) السَّالِفَة : جَانِبُ العُنق ، وانْفَرادُها كِناية عن الموت .

(٢) حَرَنَتْ : حَرَنَت الدَّابة أَىْ امتنعت عن السير.

وسلَّم « إنَّــا لَمْ نَأْتِ لِقتَالِ أَحَدٍ . . ولَكِنَّـا جِئْنَا مُعْتَمِرِيْـنَ . . فإن شَاءَتْ قُـرَيْشٌ مـادَ دْنَاهـم مُدَّةً وخَلّـوا بَيْنِى وبَيْنَ النَّـاسِ ، وإنَ أَبَوْا[١] . . فَوالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ على أَمْرِى هَذا حَتىَّ تَنْفَرِدَ سَالِفَتِى »[٢]

وَعـادَ الرسـولُ وأَخْبَرَ قريشـاً بالخَبَرِ وَلكنِهَّـمْ أَصَّروا واسْتكْبَرُوُا استكباراً .

فَعَرَضَ عُرْوَةُ بْنَ مَسْعُودٍ سَيّدُ ثَقِيـف وكانَ رَجلاً حَازِماً حَكيِماً أَنْ يَذْهَبَ إلى مُحمدٍ ويُحَدِّثُهُ . . وعِنْدَمَا الْتَقَى مَعَهُ قَال له :



« إِنِىّ تركتُ قَوْمَكَ قَد اسْتَعَدُّوا لِقتَالِكَ إنْ دَخلْتَ مَكَّةَ . . وفى أَثْنَاءِ حَدِيْثِـهِ كان يَمُدُّ يَدَهُ يَتَنَـاولُ لحِيَةَ رسُولِ اللهِ ويُدَاعِبُهـا جَرْياً على عَادَةِ العَرَبِ عِنْدَ المُلاطَفَةِ والرَّغْبَة فى التَّوَاصُلِ . . وكانَ المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ واقفًا ومَعَهُ سَيْفٌ عِنْدَ رَأْسِ رَسُولِ الله فَكُلَّما مَدَّ عُروَةُ يَدَهُ إلى لحَيـة رَسُـولِ الله . . ضَرب المُغِيْرَةُ يَـدَهُ بِكَعْـبِ السَّيْـفِ وهُـوَ يَقُولُ : أَكْفُـفْ يَدَكَ عَنْ وَجْـهِ رسُولِ الله قَبْلَ أَلاَّ تَصـل إليْكَ[٣] فيَرُدُّ عَليهِ عُـرْوَةُ مُتَضايِقـاً : وَيحَكِ . مَا أَفْظَعـكَ وما أَغْلَظَـكَ . . فَتَبَسَّم رَسُولُ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ .

---

(١) أَبَوْا : رَفَضُوا .

(٢) أى حتى أموتَ فى سَبِيلِ الدِّفاع عن غَرَضِى ، والسَّالِفَة : جَانِبُ العُنُق .

(٣) أَىْ قَبْلَ أَنْ أقطَعَها .

وانْصَرَفَ عُروَةُ وَقدْ رأَى بِعَينَيهِ حُبَّ المُسْلمِينَ لِرَسُولِهم فَرَجَعَ إلى قُرَيْشٍ وَقالَ : « يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنِىّ جِئْتُ كِسْرَى فى مُلْكِهِ ، وقَيْصَر فِى مُلْكِهِ ، والنَّجَاشِىَّ فى مُلْكِهِ ، وإنِىّ - واللهِ - ما رأيتُ مَلِكاً فى قَوْمٍ مِثْلَ مُحمَّدٍ فى أَصْحَابِه » ونَصَحَهُمْ بالإذْعَانِ لِرأْىِ مُحمَّدٍ منْعًا لإراقَةِ الدّمَاءِ .

فَلَمْ يَسْتَمِعِ القَومُ لِرأْيِ عُرْوَة

فَقَالَ الحُلَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ سَيّدُ الأَحَابِيش : دَعُونِى آته . . فَقَالُوا : « ائْتِهِ »



فَلَمَّا عَرَفَ رسُولُ الله أَنَّ الحُلَيْس قَادِمٌ إليه . . قَالَ : هذا حُلَيْسٌ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الهَدْىَ [1] فابْعَثُوا الهَدْىَ فى وَجْهِهِ .

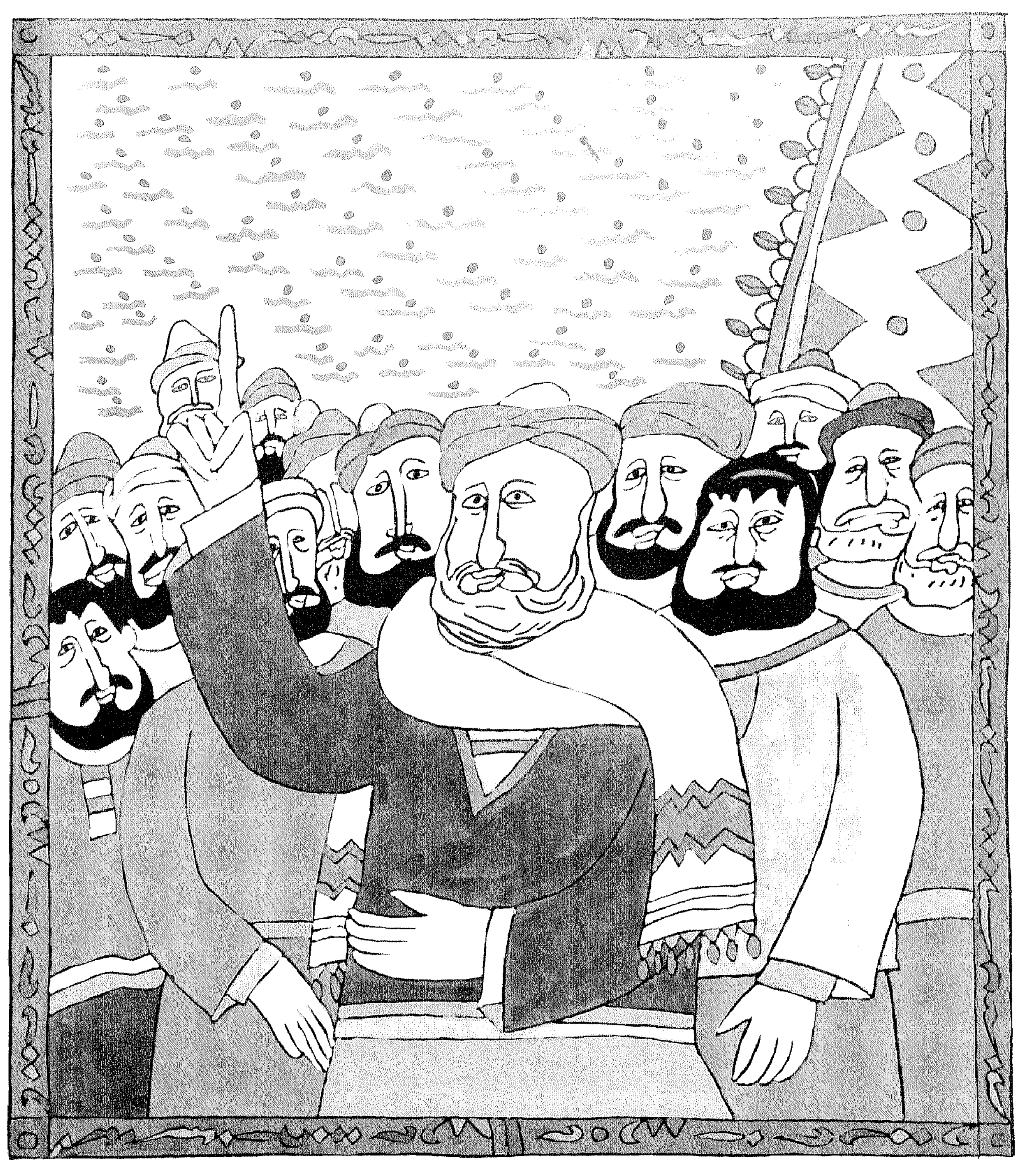
فَبعَثُوهُ واسْتَقْبلُوهُ مُلَبِّينَ والهَدْىُ أَمامَهُمْ . . فَلَمَّا رأى الهَدْىَ وَعَلَيْهِ القَلائِدُ وسَمِعَ التَّلْبِيَةَ . . رَجَعَ مُسْرِعاً إلى قُرَيْشٍ وقَالَ مُعاتِباً :

أَمَا واللهِ ما حَالفْنَاكُمْ عَلَى أَنْ تَصُدُّوا عَنْ بَيْتِ الله مَنْ جَاءَهُ مُعَظِّماً لِحُرمَتِه ، مُؤَدِّياً لحقِّهِ ، والَّذى نَفْسِى بِيَدِهِ [2] لَنَتْرُكَنَّه يَعْتَمِرُ أو لأنْفِرَنَّ [3] بالأَحَابِيش نَفْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ .

---

(١) الذبح فى سبيل الله و إطعام المساكين. (٢) يقسم بالله العظيم.

(٣) النَّفر : القوم يسرعون إلى أمر أو قتال.



يا معشر قريش ما رأيت ملكاً في قومٍ مثل محمد من أصحابه

وَفى هَذِهِ الأَثنَاء أَرْسَـلَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ خراش بنَ أُمَيَّـةَ الخُزَاعِىّ وَلَكِنَّهمْ أَسَاؤُا اسْتِقبالَهُ وعَقَروُا (١) جَمَلهُ وهَمُّوا بِقَتْلِهِ لـولاَ أَنْ منعَهُم الحُلَّيْسُ سَيِّـدُ الأَحَابيـش . . وعِنْدَمَـا عَلِمَ رَسُـولُ الله بهَذَا الغَدْر كَظَمَ غَيْظَهُ وغفَـرَ لَهُمْ . . ثُمَّ أَرْسَلَ إليْهم عُثْمانَ بْـنَ عَفَّانَ فَحَاوَلَ إقْناعَهُـمْ بِشَتى الطُـرقِ بأن الهَدَفَ نَبيـلٌ ـ والنِّيـةَّ سَليمَةٌ . تـأخر عُثْمانُ بَينَهُمْ ثلاثةَ أيام وشَاعَ بَينَ المسْلمين أَنَّهْ قُتِلَ حتىَّ وَصَلَ الأَمرْ إلى سَيِّد الخَلْـقِ . . الَّذى لَمْ يَـرَ بُداً مِـنْ قِتَالِهِمْ فَـدَعَا المسْلمينَ إلى مُبَايَعَتهِ عَلىَ الْقِتَالِ وضَرَبَ شِمالَهُ بِيَمينِهِ وقَالَ : « هَذِهِ لِعُثْمانَ » .

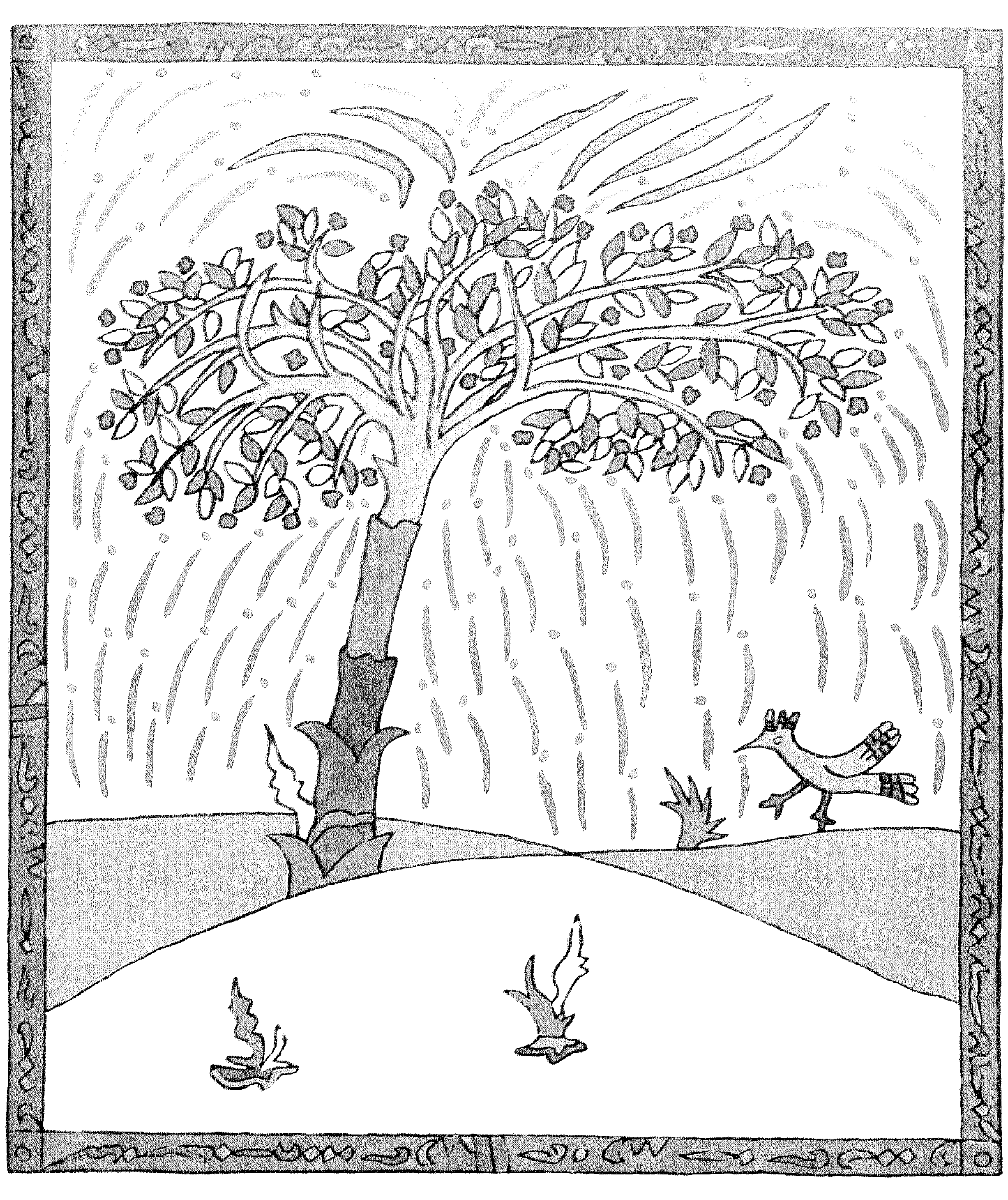


ورَغْمَ أَنَّ المسْلمينَ لَمْ يَكُـونُوا مُسْتَعِـدِّينَ للِحَـرْبِ فقد امتـلأوا حَماساً وَرَغْبَةً فى القِتَالِ حَتىَّ يَدْخُلـوا مكَةَ ويُمارِسُوا شَعَائِرهُمْ . . وكَانَتْ بَيْعَتُهم تَحتَ شَجَرةٍ . . فَنزَلَ قَوْلُ الحَقّ تبارَكَ وَتَعَالَى «لَقَدْ رَضِـى اللهُ عن المؤمِنينَ إذْ يُبَـايِعُونَـكَ تَحتَ الشَّجَـرَةِ فَعَلِم مَـا فى قُلُوبِهم فـأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِم وأَثَـابهُم فَتْحاً قَرِيبا . وَمغَـانِمَ كَثِيرةً يأخُذُونها ، وكَانَ الله عَزِيزاً حَكِيْماً » سورة الفتح ١٨ / ١٩ .

وَعِندَمَا عَلِمَـتْ قُرَيْشٌ بِهَذِهِ البَيْعَةُ ثـابَتْ إلى رشْدهَا فَـراحَتْ تُعِيدُ النَّظَرَ فى مَوْقِفِهَا . . فَأرسلَـتْ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرو ومَعَهُ نَفرٌ من قُـرَيْـشٍ للمُفَـاوَضَـةِ على الصُّلْـح الـذى يَنُـصُّ على أَنْ يَعُـودَ

---

(١) أى قطعوا مخاصيه (ذبحوه)



وكانت بيعتهم تحت شجرة

المسْلِمُونَ إلى المدينةِ ولا يُـؤَدُّوا العُمْرَةَ هَذا العَام ، إبقَـاءً على سُمْعَةِ قُرَيْشٍ وحِفْظاً لكَرامَتِهَـا . . وعلى أَنْ يُسْمَحَ لَهُمْ بالعُمْرَةِ فى العَامِ القَادِمِ وتترك قريش مكة لهم ثلاثـة أيام . وعلى أَنْ يَتَهادَنَ الفريقَانِ عَشْرَ سِنين . . وأَنْ يَرُدُّوا إلى قُرَيْشٍ مَنْ جاءَهُمْ مِنْهَا ولا تَرُدَّ قُرَيْشٌ إليْهِـمْ مَنْ جَـاءَهَـا منْهُم وأنْ يَكُـونَ التَّحالُـفَ حُـراً خِلاَلَ هَـذِهِ الهُدْنَةِ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يُخَالِفَ مُحَمَّداً مِـن ـ العَرَبِ فَلاَ حَرَجَ عَلَيهْ ، ومَنْ شَاءَ أَنْ يُحَالِفَ قُرَيْشاً فَلاَ حَرجَ عَلْيهِ .

وَقَبِلَ رَسُـولُ الله هذا الصُّلْحَ عَلَى مَـا فى ظَاهِرِهِ مِـنْ ظُلْمٍ دُونَ العَوْدَةِ إلى مَشُـورَةِ المسْلِمينَ لأَوَّلِ مَرَّةٍ . . فَغضِـبَ المسلمونَ مِـنْ هَذا الظُّلْمِ الظَّاهِرِ وراحُوا يتحَدَّثُونَ . .



ـ كَيْـفَ يَقْبَلُ رَسُولُ الله أَنْ نَرُدَّ مَـنْ جَاءنَا مُسْلِماً إلى قُـرَيْشٍ ولاَ تَرُدَّ قُرَيْشٌ مَنْ جَاءَهَا مِنَّا وَقدْ عَادَ إلى الِشّركِ ؟

وَعِنْدَ ئِذٍ قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَهُوَ يَتَمالَكُ نَفْسَهُ لأَبِى بَكْرٍ :

ـ يَا أبا بكر، أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ بِرَسولِ اللَّهِ ؟

قَالَ : « بَلَى» .

قَالَ : أَوَلَسْنَا بِمُسْلِمين؟

قَالَ : « بَلَى» .

قَالَ : « أَوَلَيْسُوا بِمُشْرِكِينَ » ؟

قَالَ : « بَلَى » .

قَالَ : فَعَلاَمَ تَرْضَى بِهَذَا المَوْقِفِ الدُّونِ [1] فى دِينِنَا .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُنَبِّهًا :

أَيُّها الرجلُ ، إِنَّـهُ رَسُولُ اللَّهِ ولَنْ نَعْصَى رَأْيَـهُ . فَلْنُطِعْ رَأْيَهُ حَتَّى المَوْتِ ، فَوَ اللَّهِ إِنَّهُ لَعَلَى الحَقِّ . . .

وَلَكِنَّ عُمَرَ لَمْ يَقْتِنِعْ وذَهَبَ إلى رَسُولِ اللَّهِ وقَالَ لَهُ :

يَارَسُولَ اللَّهِ ، أَلَسْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ؟

قَالَ : بَلَى .

قَالَ : أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ ؟

قَالَ : بَلَى .

قَالَ : فَعَلاَمَ نُعطَى الدَّنِيَّةَ [1] فى دِينِنَا إِذَنْ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، لن أُخَالِفَ أَمْرَهُ ولَنْ يُضَيِّعَنِى .



ثم أَمَـرَ رَسُولُ اللَّـهِ المُسْلِمِين فَقَالَ : قُـومُوا فـانْحَرُوا واحْلِقُـوا وحِلوا [3] . فَلَمْ يُجِبْـهُ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ . فـرَدَّدَها ثَلاثَ مَـرَّاتٍ فَلَمْ يَفْعَلوا ، فَدَخَل عَلَى أُمِ سَلَمَةَ وهُوَ فى شِـدَّةِ الغَضَبِ . . فَقَالَتْ ما

---

(١) الدُّون : الخسيس الحقير (٢) الدنية : النقيصة والعيب

(٣) تحللوا من احرامكم . واحل اى خرج فى إحرامه مجازله ما كان ممنوعا .

شَأْنُكَ يَارَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : « هَلَكَ المُسْلِمُون . أَمَرْتُهُمْ فَلَمْ يُطِيعُوا» .

وَضَرَبَتْ أُمُّ سَلَمَةَ المَثَلَ الأَعْلَى للزَّوجَةِ الصَّالِحَةِ الَّتِى تُهدِّىء مِنْ زَوْجِهَا وَتَعْذُرُ النَّاسَ فَقَالَتْ لَهُ بِلُطفٍ وَمَرْحَمَةٍ :

« يَارِسُوْلَ اللَّهِ ، لاَ تَلُمْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ دَخَلهُم أَمْرٌ عَظِيمٌ وَرُجُوعُهُمْ بَعْدَ إِحْرَامِهِمْ بِلاَ عُمْرة . . وَخَيْبَةُ أَمَلِهِمْ فِى فَتْحٍ مُبِينٍ كُلُّ ذَلِكَ أَثَّرَ فى نُفُوسِهِمْ . . ثُمَّ إن المعاهدة وما فى ظاهرها مِنَ الإِجْحَافِ والظُّلْم لأَمْرٌ عسيرٌ عَلَيْهِمْ . . وَلَكِنْ قُمْ وَلاَ تُكَلِمْ أَحَدًا وانْحَرْ بَدَنَةً واحلِق رَأْسَكَ . . وَسَيَتْبَعُكَ النَّاسُ بِإِذْنِ اللَّهِ .



فخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وَسَلَّمَ ونَحَرَ بَدَنَةً ودَعَا حَالِقَهُ فَحَلَق لَهُ فَلَمَّا رَأَى ـ المسلمُونَ ذَلكَ اسْتَحوا أَنْ يُخَالِفُوا سَيدَ الخَلْقِ فقَامُوا ونَحَرَوا وحَلَقُوا وقَصَّرُوا والحَيْرَةُ تَتَملَّكُهُمْ فى أَمْرِ هَذَا الصُّلْح .

ولَمَّا رَأَىَ رَسُولُ اللَّهِ خيْرَةَ القَوْمِ اجْتَمَعَ بِهِمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

ـــ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَشَّرتَنَا بِدخُولِ البَيْتِ الحَرَامِ فَلِمَاذَا لَمْ نَدْخُلْهُ ؟

فَقَالَ :

أَكُنْتُ حَدَّثْتُكُم أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَهُ هَذَا العَام ؟

فَقَالُوا : لاَ .

فَقَالَ : «فإنَّكُمْ سَتَدْخُلُونَهُ وتَطُوفُونَ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» .

فَقَالَ آخَر :

يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَقْبَلُ أَنْ نَـرُدَّ إِلَى الكُفَّارِ مَنْ جَاءَنَا مُسْلِمًا ولاَ يَرُدُّونَ إِلَيْنَا مَنْ جَاءَهُم مُرْتَدًّا ؟

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ :

مَنْ ذَهَبَ مِنَّـا إِلَيْهِمْ فَلاَ رَدَّهُ اللَّهُ ، وَمَـنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ فَـرَدَدْنَاهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَهُ فَرَجًا ومَخْرَجًا » .



بَعْـدَ ذَلِكَ أَقَـامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيـهِ وَسَلَّم بـالحُدَيْبِيَة بِضْعَـةَ عَشرَ يـومـاً . . ثُمَّ انْصَرَفَ عَـائِدا إلى المدينـة وبَيْنَمَا هُـوَ يُنَاجِـى رَبَّـهُ فى الطَّـرِيقِ لَيْـلا . . أَنْـزَلَ اللَّهُ عَليـهِ سُـورَةَ الفَتْحِ فَجَمَـعَ المُسْلِمِينَ وكَانَتْ قُلوبُهم كَسِيرةً[1] وقَرأَ عَلَيْهِم ما نَزَل مِنْ سُورة الفَتْحِ .

« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مبِينًا ، لِيغْفِرَ لَـكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِك وَمَا تأَخَّرَ ويتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نصْرًا عَزِيزا» ١ : ٢ سورة الفتح

اسْتَبْشَرَ المُسْلِمُـونَ وَتَيَقَّنُوا مِـنْ أَنَّ مَـا حَـدَثَ لَهُمْ فى صَالِحِهِـمْ ورَضُوا بِأَمْـرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِكنَّهُـمْ لَمْ يُدْرِكُوا أَيْنَ يَكُـونُ هَذَا الفَتْحُ ولاَ مَتَى ولا كَيْفَ ؟ .

---

(١) حزينة مكسورة الخاطر

الفتـح

مُنْذُ أَنْ حَـرَنَتْ نَاقَةُ رَسُـولِ اللَّهِ وَبَرَكَـتْ فى الأرْضِ عَلِم صَلَّى اللَّـهُ عَليهِ وسَلَّـمَ أَنَّ اللَّه هُـوَ الَّذِى أَمْسَكَهَـا فاسْتَعَـدَّ لِقَبُولِ كُـلِّ جَدِيدٍ مادَامَ هَذا الجَدِيدُ من أَمْرِ اللَّهِ وأَعْلَنَ ذَلِكَ فَقَالَ :

« والَّذِى نَفْـسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا تَـدْعُونِـى قُرَيْشُ اليـومَ إِلى خُطَّةٍ يُعَظِمُـونَ فِيهَا حُـرُمَاتِ اللَّـهِ ، وَفِيهَا صِلَـةُ رَحِمٍ ، إلاَّ أَعْطَيْتُهُـمْ إِيَّاهَا» .



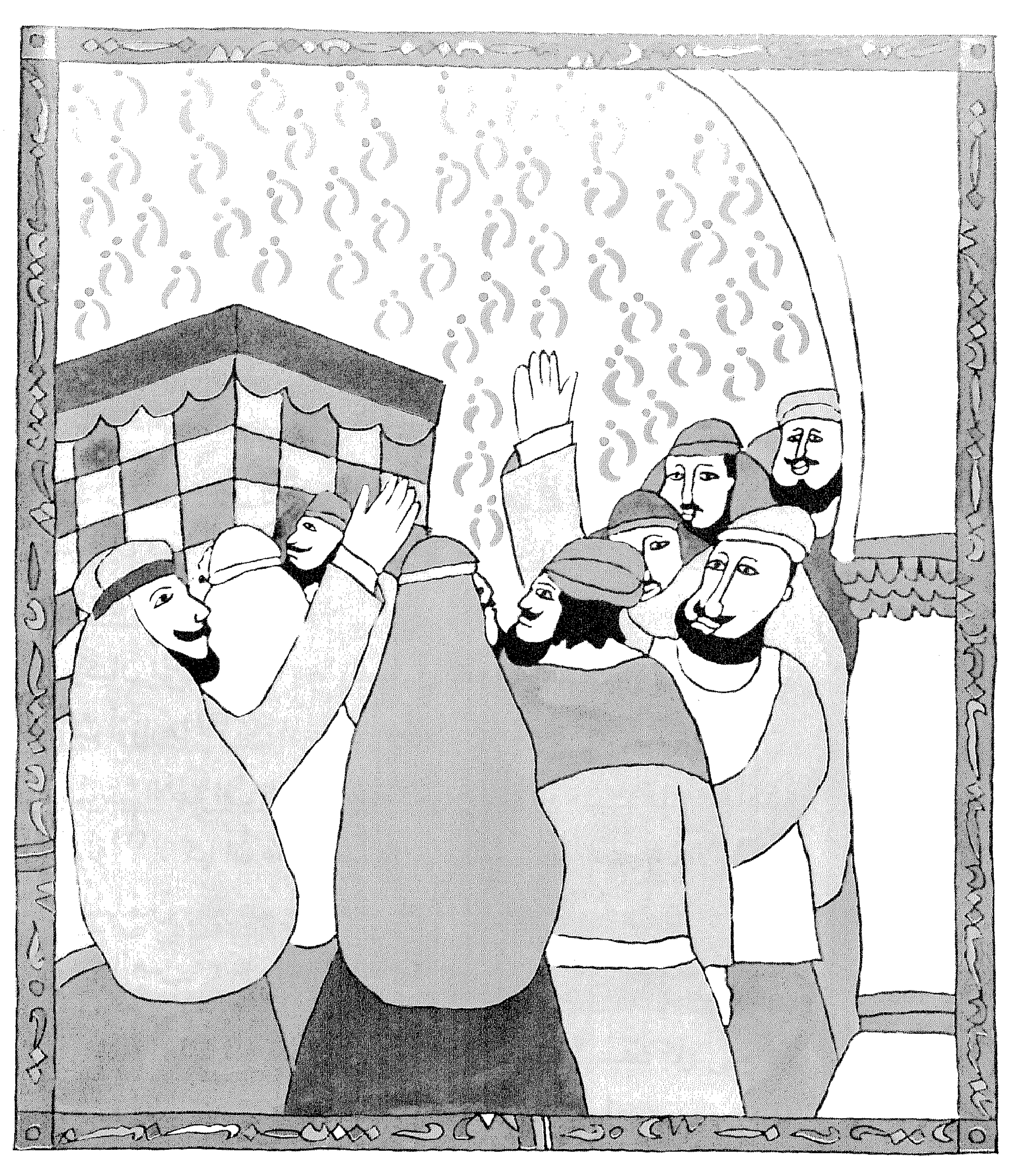
وكَـانَ مِنْ ثَمَـرَاتِ هَذَا الصُّلْـح بَيْنَهُ وبَيْنَ قُـرَيشٍ أَنْ وَضَعَـتِ الحَرْبُ أَوْزارَها [١] بَيْنَ المُسْلمينَ وقُرَيْشٍ .

ثُمَّ تَمَّ الاعْتِرَافُ الضِّمْنى بالمُسْلِمِينَ كقُوَّةٍ فكَانَتْ هَذِهِ المُعَاهَدَة المَيْمُونَة[٢] . كما أَنَّ هَذَا الصُّلْـحَ . . فَتَحَ مَجَالَ العَمـلِ والاتِّصَالِ بَيْنَ المُسْلِمينَ وغَيْرِهِمْ مِنْ عَرَبِ البَادِيَةِ ومن الملوك والرؤساء حول الجزيرة العـربية وكَانَـتْ هَذِهِ فُرْصَةً طَيِّبَـةً لِيَعْرِضُوا عَلَيْهِـم مَبادِئَ الإِسْلامِ .

---

(١) وضعت الحرب أوزارها : انقضى أمرها ، وخَفَّت أثقالها فلم يبقَ قتالٌ

(٢) المباركة .



كما أصبح للمسلمين الحق فى زيارة بيت الله الحرام

كَمَا أَصْبَحَ لِلْمُسْلِمينَ الحَقُّ فى زِيَارَةِ البَيْتِ الحَرَامِ دُونَ قِتَالٍ ومن حَسَنَاتِ هذِهِ المُعَاهَدَةِ أَنْ تَفَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ لِيوَجِّه قُوَّتَهُ إلى اليَهُودِ الذين كَانُوا يعُدُّونَ العُدَّةَ لهَجْمَةٍ شَرِسَةٍ . . ثُمَّ كَانَ الشَّرْطُ الَّذى تَأَلَّمَ لَهُ المُسْلِمُونَ غَايَةَ التَّأَلُمِ وتَمَسَّكَ المُشْرِكُونَ بِهِ غَايَةَ التَّمَسُّكِ فَرَجًا للمُسْتَضْعَفِينَ فى مَكَّةَ ، ونَكَدًا وغَمًّا عَلَى المُشْرِكِين . . فَقَدْ حَدَث أَنَّ أبا بَصِيرٍ - عُتْبَةَ بْنَ أُسَيدٍ الثَّقَفِى - فَرَّ إِلَى المَدِينَةِ هَارِبًا بِدِيْنِهِ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ مِنْ وَرَائِهِ رَجُلَيْنِ إلَى رَسُول اللَّهِ تُطَالِبُهُ بِرَد أَبِى بَصِيرٍ وَفَاءً بِشَرْطِ الصُّلْحِ بَيْنَهَا وبَيْنَهُ . . فقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ :

«يَاأَبَا بَصِيرٍ ، إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا القَوْمَ عَهْدًا . . ولايصْلُحُ فى دِيننَا الغَدْرُ ، فَانْطِلقْ إِلى قَوْمِكَ » .



فَقَالَ أَبو بَصِيرٍ مُسْتَعْطِفًا :

يَارَسُولَ اللَّهِ تَرُدَّنى إلى المُشْرِكِينَ يَفْتِنُونَنِي [1] فِى دِينِى» ؟

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ :

« انْطَلِقْ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنْ المُسْتَضْعَفِينَ فَرجًا وَمَخْرَجًا » وَعِنْدَما رَأَى أَبُو بَصِيرٍ إِصْرَارَ النَّبِى انْطَلَقَ مَعَ الرَّسُولَيْنِ المُشْرِكَيْنِ ، وفى الطَّرِيقِ احْتَالَ [2] أَبُوبَصِيرٍ حَتَّى أَخَذَ مِنْ الرَّجُلَيْنِ سلاحهما ثُمَّ رَاحَ يَضْرِبُ أَحَدَهُمَا حَتى قَتَلَهُ ، فَلَمَّا رَأَى الثَّانى مَا حَدَثَ فَرَّ بنَفْسِهِ هَارِبًا حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ المَسْجِدَ مُرتَعِدًا وَهُوَ يَصْرُخُ :

(١) يُؤذُنِى حَتى أَتْرك دين الإِسْلاَم (٢) احتال : طلب الشيء بالحِيلة

« قَتَلَ صَاحِبُكُمْ صَاحِبِى »

والْتَفَّ النَّـاسُ حَوْلَهُ وَهُـوَ يَصْرُخْ وبعدَ قَلِيـلٍ حَضَرَ أَبُو بَصِير فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَقَالَ لَهُ : لَقَـد أَوْفَيْتَ بِعَهْدِكَ فَأَرْجَعْتَنِى إِلَى قُرَيْشٍ ، وَلكِنَّى قد امْتَنَعْتُ بِدِينِى أَنْ أُفْتَنَ فِيهِ » .

فَنَظَرَ إليـهِ رَسُولُ اللَّهِ والأَلَمُ يَعْتَصِرُهُ وقَـالَ لَهُ : « اذْهَـبْ حَيْثُ شِئْتَ» . فـانْطَلَقَ أَبُو بَصِيرٍ هَـارِبًا مِـنَ المَدِينَةِ يَبْحَثُ عَـنْ مَكَانٍ يَخْتَبِىءُ فِيهِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ والأَسَى يَمْلأُ صَوْتَهُ :

« وَيْلُ امِّه مِسْعَرَ حرب لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ » (١) .

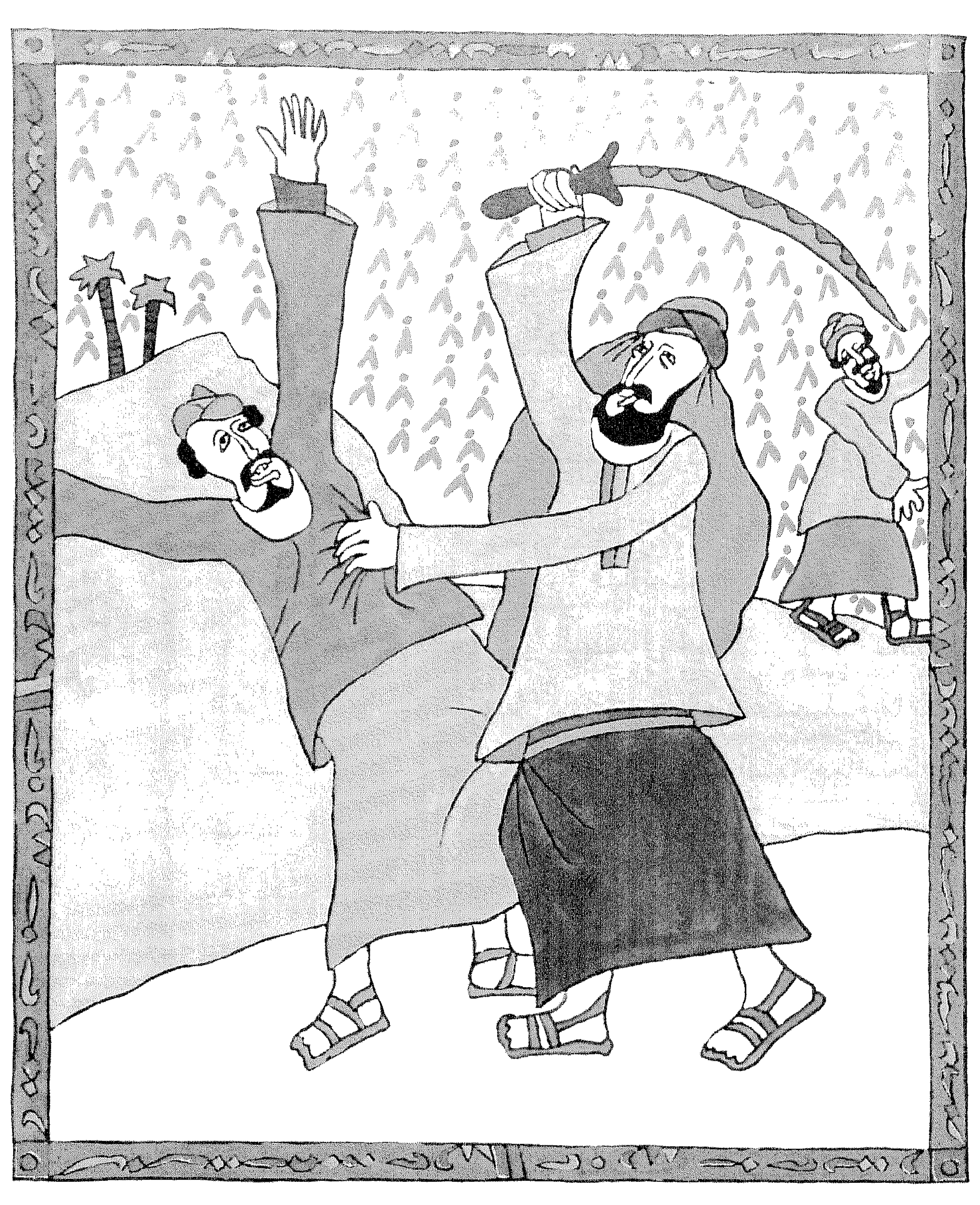


انْطَلَقَ أَبُو بَصِيرٍ حَتَّـى قَعَدَ بطَرِيقِ تِجَارَةِ قُـرَيْش ليُغِيرَ عَلَيْهَا ، وعِنْـدَمَا انْتَشَرَ نَبَـأُ أبى بَصِيرٍ فِى مَكَّـة فَـرِحَ المُسْتَضْعَفُونَ وَرَاحُـوا يَتَسلَّلُونَ إليـه أفرادًا وَجَمَاعَـات . . ثُمَّ انطَلَـقَ إليهِ أَبُـوجَنْدلٍ ومَعَـهُ سَبْعُونَ رَاكِبـاً كَانُـوا قَدْ أَسْلَمُوا سِرًّا حَتَّـى وَصَلَ العَـدَدُ إلى ثَلاثُمائَةِ مُقَاتِلٍ « أَصْبَحَ هَمُّهُم الأَوَّلُ هُوَ التربُّص لِقُرَيْشٍ وَبِضَاعَتِهَا» .

وَلَمْ تَجِدْ قُـرَيْشٌ حَـلاً إلاَّ أَنْ بَعَثَتْ إلى رَسُـولِ اللَّهِ تَتَـوَسَّلُ إليـهِ بالأَرْحَامِ أَنْ يُرْسِلَ لأَبِى بَصيرٍ وَمَـنْ مَعَهُ لِيُقِيمُوا مَعَهُ فى المَدِينَةِ . . فَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عليـهِ وسَلَّمَ لَهُمْ كِتَابًا يَـأْمُرُهُمْ بالعَـوْدَةِ إلى المدينة وَعَدَمِ التَّعَرّضِ لِتِجَارَةِ قُرَيْشٍ .

---

(١) أى لو كان معه رجال يستطيع أن يشعل حرباً ضارية .



احتال أبو بصير حتى أخذ من الرجلين سلاحهما

الفَتْحُ القَرِيبُ
« غَزْوَةُ خَيْبَر »

تركتْ مَذْبحةُ قُرَيْظَـةَ فِى نُفوسِ يهود خيبر الأَمَرَّيْن . . كما كان صُلْحُ الحُدَيْبيةِ ودخولُ عددٍ كبيرٍ فى الإسلام ومُهَادَنةُ قُرَيْشٍ لمحمدٍ سببا آخَر فى إشعالِ نَارِ الحِقْدِ الأَسْوَدِ . . وكانت الكلمة التى قالها زَعيمُهُـمْ حُيَىُّ بْـنُ أَخْطَبَ منذُ رأى رسولَ الله يَقْـدُمُ المدينَةَ هـى الدستوَرُ الذِى سَارَ عليهِ اليَهُودُ : عَدَاوَتُهُ ـ واللهِ مَا بَقِيت .



وَلَمْ يَكُـنْ رسولُ الله يُسـايرُ اليهـودَ فى خصـومَتِهِمْ ولاَ يُبَـادِلهُمْ شعورَ الحقدِ والضَّغِينَـةِ ، بل كَانَ يَلْتمسُ الفُرْصَةَ ليصلحَ مَا بينه وبينهم إيماناً منه أنهم أَتْبَاعُ أَخيه مـوسى عليه السـلامُ وأصحابُ كتـاب نزل مـن السماءِ هو التَّـوْرَاةُ . . ولـذا كان ينتهـزُ أَيَّ فرصـةٍ لِيَدْعُوَهُـمْ إلى السَّلامِ والوِئام (١) فما أُرْسِـلَ إلاَّ رَحْمَةً للعـالمينَ أَىْ للناس جميعـا . . وعندمـا عَلِمَ أن زعيـمَ اليهود أسيرَ بْـنَ رزام يُعِدُّ العُدَّةَ لِحَرْبِهِ حـاولَ أن يَدْعُوَهُ إلى السلمِ لِيُنْقِذَ قومَـهُ مِنْ نارِ الحربِ فأرسل إليهِ عبـدَ اللهبنَ رَوَاحَةَ ومعـهُ ثَلاثُونَ مـن الأنصارِ يَدْعُـونهُ

---

(١) الصلح

إلى تـركِ الأحقــادِ والعيـشِ مــعَ المسلمين فى أمـانٍ وســلام . . فاستجابَ زعيمُ اليهودِ فى أَولِ الأَمرِ وخرجَ مع المسلمين فى ثلاثين من اليهودِ قَـاصِداً رَسُولَ الله وفى وَسْطِ الطريق نَـدِمَ عَلى خُروجهِ وغَيَّرَ رَأْيَهُ بل وَهَمَّ بِالغدرِ بابنِ رَوَاحةَ فانتبهَ فَجْأَةً وقالَ لهُ :

أَغَدْراً يَـا عدوَّ الله ؟ ثُم رفـع سيفَهُ وضربَ زعيمَ اليهـودِ ضربةً أطاحتْ فَخْذَهُ بساقهِ وسارع المسلمونَ إلى بقيةِ اليَهُودِ فقتلوهُمْ .

وَحَـزِنَ صَلَّى الله عليــهِ وسلـمَ لهذا الحَدَثِ وكَـانَ يَــأْمُـل فِى مُصَالحَةٍ تُنْهِى حالةَ الحربِ فى المنطقة .



وســارَ بقيَّــةُ الـزعماءِ على نفـسِ الطَّـريقَـةِ وبـدءوا يتجمعـون ويستعدون ليُفَـاجِئُوا رَسُولَ الله ويقتلـوه وَمَنْ مَعَـهُ . . وعلمَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بما تنوى يهودُ خَيْبَرَ . . وأخذ يتهيَّأُ لقتَالهِمْ .

كانـت بلادُ خَيْبَرَ مُقَسَّمَـةً إلى ثلاثِ منـاطقَ حـربيةٍ . . وكـلُّ منطقَـةٍ مُقَسَّمَةٌ إلى عِـدَةِ حُصونٍ قـويةٍ ومنَيعَـةٍ . . وكانـت جموعُ اليهـودِ فِى خَيْبَر مـن أقـوى الطَّـوائِفِ الإسرائيليـة قـوةً فِى القتـالِ وَصلابَةً وبَأْساً كَمَا كانَتْ تَمْلِـكُ أَقْوَى الأسْلِحةِ فِى ذَلكَ الوقْتِ . . وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّ للمُسْلِمين قُدْرَةً عَلى غَزْوِهِمْ .

وقبل أن يتحركَ اليهودُ مُتَّجهينَ إلى المدينـةِ . . خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى شهرِ المُحَرَّم مـن السنةِ السابعِة (أغسطس ٦٢٨ م) فى ألفٍ وستمائةٍ من أصحـابهِ . . وكانت الحصـونُ فوقَ



أغدر يا عدو الله . . ثم رفع سيفه وضرب زعيم اليهود



خرج جيش المسلمين لقتال يهود خيبر

الجبالِ . . فبحثَ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ عَـنْ مكانٍ بعيدٍ عن مدى النَّبْلِ فَعَسْكَرَ فيه . . حتَّى إذَا كـان الصَّباحُ خرجَ اليهودُ لَعمَلِهِم فى الحقولِ فـدخلَ عليهـم رسولُ اللهِ ومن معـهُ فتمَلَّكَهُم الـرُّعْبُ والهَوْلُ فجعلُوا يصيحونَ :

« محمدٌ والخَمِيسُ [١] . . . محمدٌ والخَمِيسُ »

فَرَدَّ عَلَيْهـم رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليـهِ وسلم مُكبِراً . . اللهُ أكبرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ . . إنا إذا نَزَلناَ بِسَاحةِ قومٍ فَسَاءَ صباحُ المُنْذرين .

وانـدفـعَ اليهـودُ إلى حصونِهِمْ لِيَعْتَصِمُـوا بها كما هـى عـادتُهمْ بالحُرُوبِ « وظَنُّوا أَنهُمْ مَا نِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ من الله ، فَأَتَاهُمْ اللهُ من حَيْثُ لَمْ يحتسُبوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ » [٢]



وطالَ حِصَـارُ المسلمينَ للحصُون واستعمل المسلمُون الـرَّمى بالنِّبالِ كما استعمَلُوا المنجنيق وظَلَّ رَسُولُ اللهِ سبعةَ أيام يُقَاتلُ أَهلَ هذا الحِصْنِ ويُعطِى الرَّايةَ فى كُـلِ يومٍ لأحدِ أبطالِ المسلمين حتى استطاعَ عَلىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ رَضِىَ اللهُ عنه أن يَفْتَحَهُ .

وفرَّ اليهودُ إلى الحِصْنِ الذى يَليه . . واعْتَصَمُوا بِهِ وقاتلُوا قتالاً شديداً حتـى انهزمَ اليهودُ وأغلقُوا الحِصْنَ عليهـمْ ولكنَّ المسلمين فتحُوهُ وانتصرُوا عليهِم .

---

(١) معنى الخميـس : الجيش وكان يقسم إلى ميمنـة وميسرة ومقدمة ومؤخـرة وقلب ، أى إلى خمسة أجزاء .

(٢) آية ٢ من سورة الحشر



وطال حصار المسلمين للحصن واشتد القتال

وَلمَّا سقطَ الحصْنُ الثَّانى فرَّ اليهـودُ إلى حصنٍ ثالث فاعْتَصمُوا بـهِ وحملُـوا حملـةً مُنْكَـرةً على المسلمينَ واسْتَماتُـوا فى القتـال وكـانَ المسلمُـون قد أَصَـابَتْهُمْ مجاعـةٌ حتى أكلُـوا لحومَ الخَيْلِ . . وظلُّـوا يُقاتلـونَ حتى اقتحمُوا الحِصْنَ وفتحـوه عُنْوَةً (١) وَوَجَدوُا فيـهِ من الشَّعِيرِ والتَّمْرِ والسَّمـنِ والعَسَل والمَتَاع شيئـاً كثيراً فأكلُـوا وشربُوا واستجمعُـوا قُـواهـم وكانَ رسـولُ الله يَخْشَـى أن ينصَرِفُـوا إلى حَمْلِ الغَنَائِم وتَثْقُـلُ حَرَكَتُهُمْ لهذَا بعثَ مُنـادياً يُنادِى أَنْ « كُلُـوا واعْلِفُوا ولا تَحْمِلُوا » .



ومـن عَجِيـبِ الأمر أن المسلمينَ عَثَرُوا فِى هَـذَا الحِصـنِ تحتَ الأرضِ على مَنْجَنيق (٢) ودُرُوع وسُيُوفٍ وكَثيرٍ مـن آلاتِ الحَرْبِ فانتفعُـوا بها كَثيراً وَدَلَّهُمْ على هذَا الحِصْنِ يهودِيٌّ خـافَ على نَفْسِهِ وعَلَى أَوْلاَدِه من أَنْ يُقْتَلُوا .

وفرَّ اليهـودُ إلى حِصْنٍ رَابعٍ فوقَ قمـةٍ عاليةٍ فحـاصرهُ المُسلمونَ ثـلاثةَ أيـامٍ حتىَّ اكتشفُـوا أَنَّ وراءَ الحِصْنِ جَـدْوَلاً من الماءِ يَمُـدُّ الحِصْنَ بِهِ ، فقطـعَ المسلِمُونَ عنهمْ الجَدْوَلَ . . فاستسلـمَ اليهودُ وفَرَّ منهم مَنْ فَرَّ إلى حِصْنٍ خامسٍ .

---

(١) فتحوه رغم أنفه وبالقوة .

(٢) منجنيق : من أدوات الحرب يُقذف بها النار على الأعداء .



عثر المسلمون فى هذا الحصن تحت الأرض على دروع وسيوف

واستمرَّ الـرَّمْىُ بالنِّبَـالِ أياماً طويلـةً حتى أصابَ النَّبْـلُ ثِيابَ رَسُولِ اللهِ وَعَلِقَ به فأمرَ رسولُ اللهِ أن يُنْصَبَ على الجبلِ المَنْجَنِيق ، ولما رأى اليهودُ ذلك أَسْلَمُوا الحِصْنَ وهربُوا إلى حِصْنٍ سَادِسٍ كانَ شديدَ المَنَعَةِ والقوَّةِ واستمرَّ القتالُ عشرينَ ليلةً .

ثُمَّ فَتَحَهُ اللهُ علَى يَدِ عَلِىّ بْنِ أَبِى طَالب .

وقد سَبَى المُسْلِمُون النسـاءَ والذَّرارى [1] ومن بينهـمْ السيدةُ صَفيَّةُ بنتُ حُيَىّ زَعِيمِ اليهُـود . . فَخَيَّرَهَا رسولُ اللهِ بين أن يَعْتِقَهَا وَيَتـزَوَّجَهَـا وبـذلـكَ يُنَـاسـبُ اليهـودُ لعـلَّ ذلـكَ يُطفِـىءُ مـن غُلَوَائِهِم [2] أو يُلْحِقَهَـا بـأهلِهَـا فتَفِرَّ إلى الحِصْـنِ الـذى يَلِيـهِ . . فاختارتْ أن تكونَ زوجـةً لَهُ فأعتقَها وجعلَها من نسـائِه ولم يَدَّخِرْ وُسْعاً فى تطييب نَفْسِهَا وإزَالَةِ مـا فى قلبها من حِقْدٍ فراحَ يشرحُ لَهَا الإسلامَ وكيفَ أنه كان يتمنَّـى أن يعِيشَ مع اليهودِ فى سلام لأنَّهُـمْ أهلُ كتابٍ سَمَاوِىٍّ يؤمنُ به المسلمـونَ . . ولكن أباها ظلَّ يُحَرِّضُ العربَ ويجمعُ اليَهُودَ للقَضاءِ عليهِ باللَّيلِ والنَّهارِ .

وفرَّ اليهـودُ إلى حِصْنٍ سَـابع وكان آخِـرَ الحُصونِ فحـاصرَهـم النَّبى صَلَّى الله عليهِ وسلَّمَ عَشْرةَ أيـامٍ حتى أَيْقَنُوا [3] أنهمْ هَالكُونَ فَاستسلَمُوا .



(١) الأطفال (٢) من الغلوِّ والتشددِ فى الكراهيةِ (٣) صدقوا وتأكدوا

وسَقَطَ الحِصنُ السابِعُ فسقطَتْ خَيْبَرُ كُلهُا فى أَيْدِى المسلمينَ ولمَّا تَـمَّ الصُّلْحُ بَين رسـول الله وأهـلِ خَيْبَر ، لَمْ يـرغبُوا فى الهجـرةِ وسـألُوا رسـولَ اللهِ أن يتركَهُـمْ يعملـونَ فى الأرض ويُعْطُوهُ نصـفَ ثِمارِها فأبقَاهُمْ رسولُ الله إلاَّ أنه اشترطَ عليهِمْ إذَا شاءَ أَنْ يُخرِجَهُمْ أَخرَجَهُمْ .

قَسَّمَ رسولُ الله غَنَائِمَ خَيْبَر بعدَ أن خَمَّسَهَا ، فأعطىَ الرَّاجل[1] سَهماً وأعطىَ الفارسَ ثلاثةَ أَسْهُم ، وأعطـى رجالاً ونساءً من بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ وأعطىَ اليَتيمَ والسَّـائِلَ ، وأعطىَ أَهْلَهُ وأعطَى العَبيدَ والنساءَ مِمَّنْ شَهِدَ خَيْبَر . . وهكذا كانـت غَنَائِمُ خَيْبَر أكثرَ مَغْانِمَ حصلَ عليها المسلِمونَ وصدقَ الله العظيـمُ إذْ يقولُ : « لَقَدْ رَضِىَ الله عـن المؤمنينَ إذْ يُبَايعُـونَكَ تحتَ الشَّجَـرَةِ فَعَلِـم ما فى قُلُـوبِهمْ فَأَنْزَلَ السَّكينَةَ عَليهِمْ وأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً[2] ومَغَانِمَ كثَيرةً يَأخُذُونَهَا وكَانَ الله عزيزاً حَكيماً » سورة الفتح ١٨ / ١٩



اليَهُود تحتَ الحُكْمِ الإسْلاَمى

رَضِىَ رسولُ الله أن يُقِيمَ اليهودُ على أرضِ خَيْبَر بعدَ تَاريخ من الغَـدْرِ والكَـذِبِ والـدَّسِ بين المسلمينَ ، والتَشْكِيـكِ فى

(١) من قاتل سيرا على قدميه

(٢) فتح خيبر

القرآنِ، والتَّأْليبِ على النبيِّ وأهلِهِ . . فلماَّ تمَّ لرسُول الله النصرُ عليهم وأَمِنَ شَرَّهُمْ إلى حَدٍ كبيرٍ . . رَضِيَ أن يُقيمَ اليهودُ كما أرادُوا لِمنَ أَلقوْا سِلاَحَهُمْ .

وقد حَرَصَ سَيِّدُ الخَلْقِ على أن تقومَ عَلاَقَةٌ أَسَاسُهَا المَوَدَّةُ والصَّفَاءُ أُخُوَّةً فِي الله ، فتزوج السيدةَ / صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيّ لِيُؤكِّدَ بِذَلِكَ حُسْنَ العَلاقِةِ بين المسلمينَ وأهلِ الكتابِ وجاهدَ صلى الله عليه وسلَّم في إقامةِ العدلِ فِي معاملتِهِمْ والرِّفْقِ بهم وإزَالَةِ العَدَاوةِ من صُدورِهم .



رُوِيَ أن بِلاَلاً مَرَّ بِصَفِيَّةَ وابنةِ عَمٍ لها على قَتْلَى اليهودِ في الطريقِ فَصَاحَتْ ابنَةُ عَمِها صِيَاحاً ، فَكَرِه رسولُ الله مَا صنعَ بِلاَلُ وقَالَ لَهُ غَاضِباً :

ـ ذَهَبَتِ الرَّحمةُ مِنْكَ ؟ أَتَمُرُّ بِجَارِيَةٍ حَدِيثَةِ السنِ على القتلى . .

فقالَ بِلاَل آسفاً :

« يا رَسُولَ الله ، ما ظَنَنْتُ أَنَّكَ تكْرَه ذَلِكَ ، وأَحْبَبْتُ أَنْ ترى مصرعَ قَوْمِها »

وَلَمْ يَتْرُكْهُ رسولُ الله حتَّى أَقْسَمَ أَلاَّ يفعلَ ذلكَ أَبَداً .

وفي أَحِدِ الأيامِ ذهَب جَمْعٌ من اليهودِ لِمُقَابلةِ سيدِ الخَلْقِ وشَكوا لـه أن المسلمينَ يَقَعُونَ فِي حَرْثِهِمْ ويَدخلُونَ في زراعتِهمْ بعد الصُّلْح .

فأمرَ رسولُ الله بجمعِ المسلمينَ ثُـمَّ قام فيهـمْ خَطِيباً فَحَمِدَ الله وأَثْنَى عليهِ ثُمَّ قال :

« إنَّ اليَهُودَ شَكوا إِلَيَّ أَنَّكُمْ وَقَعْتُمْ فِي حَظَـائِرِهِمْ ، وقد أمَّناهُمْ على دِمَائِهِمْ وعلى أَمْوالِهِمْ التى فى أَيْدِيهِمْ من أراضيهِمْ وعَاهَدْنَاهُمْ أَنَّهُ لا تَحِلُّ أَمْوالُ المُعَاهِدِينَ إلا بِحَقِّها » .

وختمَ حديثَهُ صلى الله عليهِ وسلمَ « قـائلاً مَنْ آذَى لِي ذِمّياً فَأَنَا خَصِيمُهُ يوم القيامَةِ » . . وتابَ المسلمـونَ وصارُوا لا يأخذونَ من بُقُولِهِمْ شيْئاً إلا بالثَّمـنِ وكان صَلى الله عليهِ وسلمَ يُـرْسِلُ إلى أهل خَيْبَر عَبْـدَ الله بْنَ رَوَاحَـةَ لِيُقَدِّرَ مَقَـادِيرَ الغَـلاَّتِ والثِّمارِ فإذا قـال اليهودُ تَعَدَّيْتَ عَلَينَا قال عَبْـدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ عَلىَ الفَوْرِ : إنْ شِئتُمْ فَلَكُمْ ، وإنْ شِئتم فَلَنَا فيقولُ اليَهُود :



« بِهَذاَ قَـامَـتِ السَّمَـواتُ والأَرْضُ » أَيْ بِهَذَا العَـدْلِ قَـامَـتِ السَّمَواتُ والأَرْضُ وكان بين المَغَانـمِ التى غَنِمَهَا المسلِمُون فى خَيبر صحائفُ مـن التوراةِ فجَـاء اليهُودُ يطلبُونها فـأمر النَّبـى بتسليمها إليهم (٢) .

فهـلْ قَدَّرَ اليهـودُ موقـفَ رسولِ الله حِينَ تَمَكَّـنَ مِنهُم ؟ هـل أَدْرَكـوا أن الإِسْـلاَمَ لم يَكُـنْ يـريـدُ لَهُمْ شَراً وأن مبـادىءَ الإسـلامِ

(١) ذِمِّياً : يهوديا أو مسيحيا .

(٢) الرُّومان عنـدما تغلبوا على أُورْشَلِيم وفتحوها سنـة ٧٠ قبلَ الميلاد أحرقوا الكتـبَ المقدسة وداسوها بالأقدام . . كما أحرق المتعصبون من النصارى فى الأندلس صُحُفَ التوراة والقرآن .

تقومُ على الحقِّ والعدلِ واحترامِ كافةِ الأديانِ والمُساواةِ بينَ النَّاسِ؟ بالطبعِ لا ، وللأسفِ الشديدِ لم تمضِ بِضعةُ أشْهُرٍ حتى أغْروا سيدةً يهوديَّةً فَدَسَّتِ السُّمَّ فِى ذِراعِ شَاةٍ مَشْوِيَّةٍ بعد أن عَلِمَتْ أن رسولَ الله صلى الله عليهِ وسلمَ يُفَضِّلُ الذِّرَاعَ . . وأَرْسَلَتْهَا هَدِيَّةً لَهُ .

فجلس رسولُ الله ومعهُ أصحابهُ وتناولَ رسولُ الله الذِّرَاعَ وأخذ مِنْهَا مُضْغَةً فإذَا بالذِّرَاعِ تَنْطِقُ : لاَ تَأْكُلْنِى فَإِنِّى مَسْمُومَةٌ . .

وأَزَاحَ صلى الله عليه وسلمَ الشَّاةَ وابتَعَدَ ولَكِنَّ أَحَدَ الصَّحَابَةِ وَهُوَ بِشْرُ بْنُ البراء بن معرور كان قد ابْتَلَعَ مُضْغَةً فسقطَ مَيِّتاً .



وأحضرَ رسولُ الله المَرْأَةَ فَاعْتَرفَتْ ، فقالَ لَهَا :

ـ مَا حَمَلَكِ على ذَلِكَ ؟

قَالَتْ ـ قُلْتُ إنْ كان مُحَمَّدٌ مَلِكاً اسْتَرَحْنَا مِنْهُ ، وإن كَانَ نَبِيًّا فَسَيُخْبَرُ [1] وَرَغْمَ ذَلَكَ تجاوزَ عَنْهَا رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم .

---

(١) يقول الدكتور أحمد شلبى : ويقال إنه اقتصَّ منها لوفاة بشر بن البراء .



اليهودية وذراع الشاه المسمومة

مُكَاتَبَـةُ الْمُلُـوْكِ

قَالَ تَعَالَى لِرَسُوْلِهِ الْكَرِيْم :

﴿ وَمَا أَرْسَـلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِيْـنَ ﴾ (١)

وَقَالَ لَـهُ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيْرًا ونَذِيْرًا . . . ﴾ (٢)

فكانَ لا بُدَّ أَنْ يسعى سيدُ الخلْقِ لِـلاتِّصالِ بدولِ العالمِ وتبليغِ دعوةِ الإسلامِ لأن هذه الدَّعْوَةَ ليست للعربِ فَقَطْ ولكنْ لِلنَّاسِ جميعًا . . فأخـذَ صلى اللـهُ عليـهِ وسلـمَ يكتـبُ الـرَّسَـائِلَ لِلْمُلُوْكِ ، وأَشَارُوا عليهِ أَن يضعَ خَاتَمًا خاصًا به ـ ليخْتِمَ به الرَّسائلَ كما هى العَادةُ فى ذَلكَ الوقتِ .



ثمَّ جمعَ أصحابَهُ وأخبرهم بأنهُ سَيُرْسِلُهُـم إلى أماكِنَ مُتفرقةٍ قد تكُونُ بعيدةً عن أرضِ الحجازِ . . ثُمَّ قالَ :

ـ أَيُّهَا النَّـاسُ ، إنَّ اللَّهَ بَعَثَنِى رَحْمَةً لِلْعَـالَمِينَ فَأَدُّوا عَنِّـى رَحِمكُمُ اللَّهُ ولاتَخْتَلِفُوا عَلَيَّ كَما اخْتَلَفَ الْحَوَارِيُّونَ عَلَى عِيسَى بنِ مَرْيَمَ عليهِ السَّلاَمُ .

(١) الأنبياء (١٠٧) .

(٢) سبأ (٢٨) .

فقَالَ أصحَابُهُ :

ـ وكيفَ اختلفَ الْحَوارِيُّونَ على عِيسَى عليهِ السلامُ يارسولَ الله؟

فقالَ :

ـ دَعَاهُمْ لمثلِ مَا دَعَوْتُكُمْ لَهُ ، فَرَضِىَ مِنْهُمْ مَنْ أُرْسِلَ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ وَكَرِهَ مِنْهُمْ مَنْ أُرْسِلَ إِلَى مَكَانٍ بَعِيْد ، فَشَكَاْ ذلك عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وعِنْدَئِذٍ أعلنَ الجميعُ موافقتَهَمْ على السفرِ إلى حيثُ يشاءُ سيدُ الْخَلْقِ . بل لقد حَرِصَ كُلُّ مِنْهُم عَلَى تَعّلم لُغَةِ القومِ الَّتِى سَيُحَدِّثهُم بِهَا .



قَيْصَرُ الرُّوْمِ :

أرسلَ رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلمَ (دِحْيَةَ الكَلبى) إلىَّ قَيْصرَ الرُّومِ بِكتَابٍ يدعُوهُ فيه إلى الإِسلاَمِ ، وعندما وصلَ إلَّى قَيْصرِ الْمَلِكِ فى الشَّامِ قَالَ عَسَاكِرُ الملكِ لِدِحْيَةَ :

ـ إِذَا رَأيتَ الْمَلِكَ فَاسْجُدْ لَهُ ، ثُمَّ لا تَرْفَعْ رَأْسَكَ أبدًا حتى يَأْذَنَ لَكَ .

فقالَ دِحْيَةُ :

ـ مَعَاْذَ اللهِ لا أَسجُدُ لغَيْرِ اللهِ .



قيصر الروم

فقالوا لَهُ :

ـ إذَنْ لا يأْخذُ كِتَابَكَ .

ودخل دِحْيَـةُ مَرفـوعَ الرَّأسِ ومعـهُ كتابُ مُحمـدٍ . . فلمّا لاحظَ قَيْصَرُ أنـهُ لم يسجُـدْ تَعَجَّبَ وأخـذَ الكِتَـابَ ونَـادَى عَلَى التُّرْجُمَانِ فترجمهُ لَهُ .

وأرادَ قَيْصَرُ أن يعرفَ مَنْ مُحَمَّدٌ ؟ وماصفتهُ ؟ فقالَ :

ـ ابحثُوا لنا عن رجلٍ من قومهِ نسألهُ .

فراحُوا يبحثـونَ فى أسواقِ الشَامِ ، فوجدُوا أبا سفيـانَ يُتَاجرُ فى أسواقِ غَزَّةَ مع رجالٍ من قُرَيْشٍ .

فأحضروهُ إلى المَلكِ فى بَيتِ المَقْدِسِ .



فـدخَلَ أَبُـو سُفيـانَ ومعهُ رجـالٌ من قُـرَيْـشٍ على الملكِ وهـوَ جـالسٌ على عَـرْشِهِ وعليـه تاجُ الملـكِ وعُظَماءُ الرُّومِ حـولَهُ فقـالَ لِتُرْجُمَانِهِ :

ـ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ أقرَبُ نَسَبًا إلى هذ ا الرَّجُلِ الذى يَزْعُمُ أنَّهُ نَبِىٌّ ؟

فقالَ أبو سُفيانَ :

ـ أنَّا أقربُهُمْ نَسَباً إِلَيهِ .

فقالَ له قَيْصَرُ :

ـ كيفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجلِ فِيكُمْ ؟

فقالَ أبو سُفيانَ :

ـ هوَ مِنَّا ذُو نَسَبٍ .

ـ هَل قالَ هذا القولَ أَحَدٌ منكم قَبْلَهُ ؟

ـ لا .

ـ هل كُنتمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ على الناسِ قَبْلَ أن يَقُولَ ما قالَ ؟

ـ لا .

ـ كيفَ عَقْلُهُ وَرَأْيُهُ ؟

ـ لم نَعِبْ عليهِ عقلاً ولا رَأياً قطْ .

ـ أشْرَافُ الناسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُم ؟

ـ بَلْ ضُعفَاؤُهُم .

ـ فَهَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟

ـ بَلْ يَزِيدُونَ .

ـ فَهَلْ يَغْدُرُ إِذا عَاهَدَ ؟

ـ لا .

ـ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوْهُ ؟

ـ نعمْ .

ـ فكيف حَرْبُكُمْ وَحَرْبُهُ ؟

ـ دُولٌ وَسِجَالٌ أَىْ ننتصُر عليهِ مَرَّةً ، وينتصِرُ علينا مَرَّةً .

ـ فَبِمَ يَأْمُرُكُمْ ؟



ـ يَأمُرنا بأن نَعبدَ اللهَ وَحْدَهُ ولا نُشْرِكَ به شيئا . وَيَنْهَانَا عَمَّا كانَ يعبدُ آبَاؤُنَا ، وَيَأمُرُنَا بِالصَّلاَةِ ، وَالصَّدَقَةِ ، وَيَأْمُرُنَا بِالْوَفَاءِ بِالعَهْدِ ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ .

لَمْ يَجْرُؤْ أبو سُفْيَانَ على الْكَذِبِ لِأَنَّ نَاسًا من قُرَيشٍ كَانُوا حَاضِرِينَ فَخَشِىَ أن يُعْرَفَ عَنهُ الكَذِب .

وَفى نِهايةِ اللِّقَاءِ قالَ قَيْصَرُ الرُّوم :

ـ إِنهُ نَبِىٌّ ، وكنتُ أعلمُ أنهُ خَارِجٌ ، ولكنْ لَمْ أَظُنَّ أنهُ فِيكُم وَلَو كنتُ عندهُ لَغَسَلْتُ عن قدميهِ .

وتعجَّبَ أبو سفيانَ وَمَنْ مَعَهُ من القُرَشيينَ مِنْ أمرِ مُحمدِ بنِ عَبْدِ اللهِ الذى يَعْلُو فِى كلِّ يومٍ .

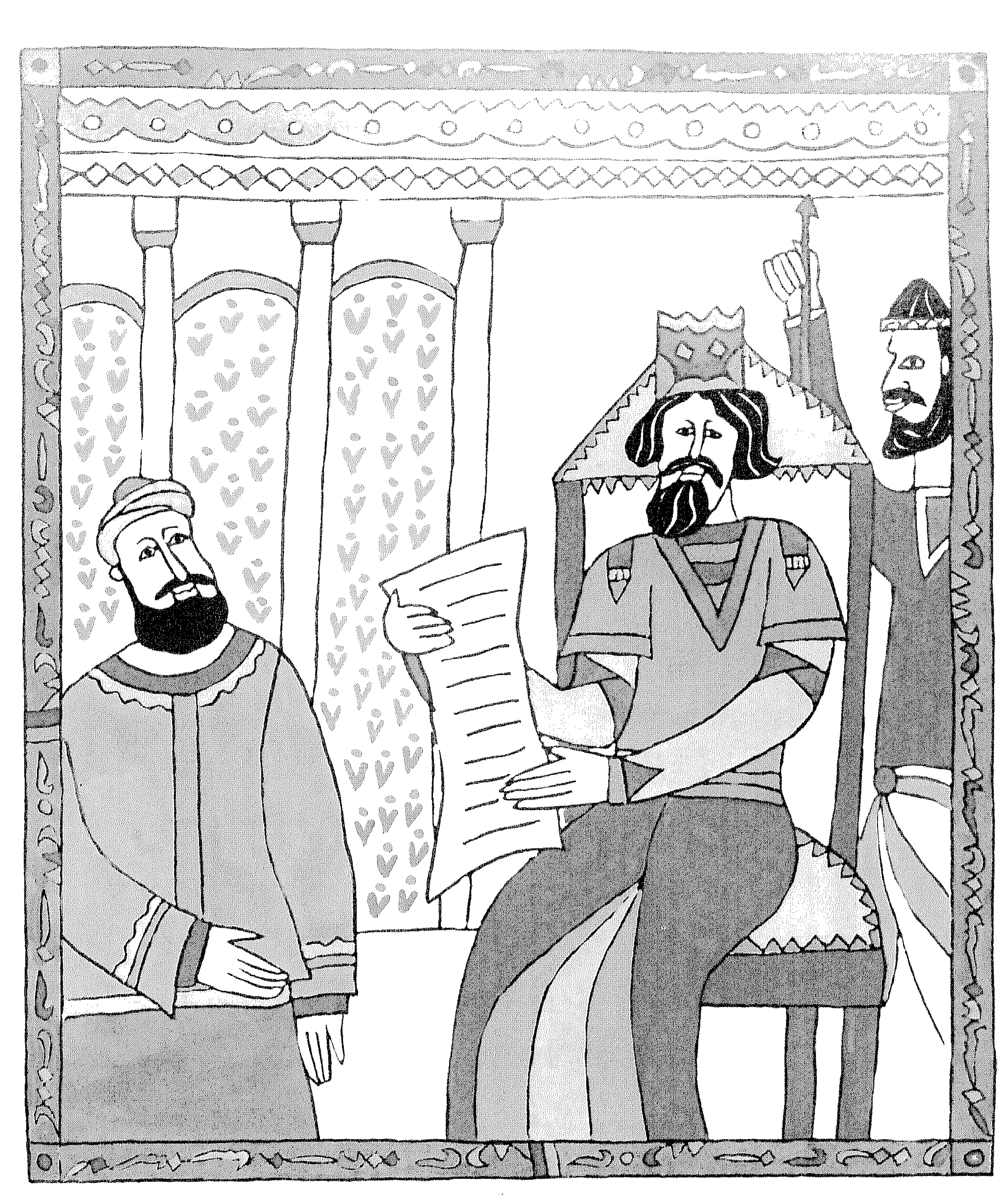


كِسْرَى فَارِسَ :

أرسلَ رسولُ اللهِ عبدَ اللهِ بنَ حُذَافَةَ برسالةٍ إلى ملكِ فارس . . جاء فيها :

بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ .

مِنْ محمدٍ رسولِ اللهِ إلى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ . سلامٌ على مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى ، وآمنَ باللهِ ورسُولِهِ وشَهِدَ أن لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ وأنَّ محمدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ . . أَدْعُوكَ بدعَايَةِ اللهِ ، فإنِّى أنا رَسُولُ اللهِ إلى الناسِ كَافَّةً ، لِأُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا وَيَحِقَّ القَولُ على



كسرى فارس يقرأ الرسالة

الكَافِـرِينَ . ـ أَسْلِـمْ تَسْلَمْ ، فَـإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْـمُ المَجُوْسِ [1] (أَيِ الَّذِيْنَ هُمْ أَتْبَاعُكَ) .

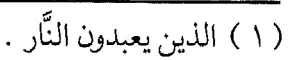
قرأَ كِسْرَى الرسَالةَ ، فلمَّا وجـدهُ يبدأُ : مِنْ محمدٍ رسولِ اللهِ إلى كِسْرَى عظيـم الفُرْسِ . . غَضِـبَ غضبًا شـديـدًا لأنَّ محمدًا بـدأَ الكتَابَ بنفسـهِ فَمزَّقَ الـرسَالـةَ وأَرسلَ إِلىَ بَـاذَانَ نَائِبِـهِ عَلَىَ اليمنِ لِيرُسلَ رَجُلَين مِنْ عِندهِ ليأتيا بمُحمدٍ مُكَبَّلا فَلَمَّا قَدِمَ الرَّجُلاَن عَلىَ الرسول قَالَ الرَّسُولُ لهما إن ابن الشَاهِنشَاه قَدْ قتله فَعُودَوا إلى بَاذَان بهذا الخبر، فعَادَا بِذَلِكَ وسُرعَانَ مَا وصَلتْ الأَنبَاءُ بِقتلِ الشَاهنشَاه فآمَـن باذان وآمن أهـل اليمن . . وخرجَ عبـدُ اللهِ بنُ حُذَافَـةَ من عندهِ وسافر إلى مَكَّةَ وحكَى لسيدِ الخَلْقِ الموقِفَ .



وصمتَ رَسولُ الله قَليلاً ثُمَّ قَالَ :

ـ « لَتَفْتَحَـنَّ جَمَاعَةٌ من المُسْلِمِيْنَ كُنُـوز كِسْرَى التى فى القَصْرِ الأَبيَضِ » .

وبـالفعـلِ انتصَرَ المسلِمُـونَ فى عهدِ عُمَـرَ بـنِ الخطـابِ عَلى الفُرْسِ فَفَتَحَ سعدُ بنُ أبى وَقَّاص مدائِنَ فَارِسَ واستولى على كنوزِ كِسْرَى من القصرِ الأَبيَضِ .



(١) الذين يعبدون النَّار .

النَّجَاْشِيُّ مَلِكُ الحَبَشَةِ :

كَانَ النَّجاشِيُّ مَلِكاً للحَبَشةِ وقَدْ اشْتُهِرَ بِالعَدلِ فَلَمْ يُظْلَمْ تحتَ رِئَاسَتِه أَحدٌ حتىَّ ذَاْعَ صِيتُهُ . . ولما هَاجرَ المسلمُونَ إلى بلادِ الحبشةِ أكرَمهُمْ الملكُ وجاورَهُم ، وعَرفَ الكثيرَ عن سَيدنَا محمدٍ وعن مبَادئ الإسلاَمِ . . فلمَا وصلتهُ رِسَالةُ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ عن طريقِ عَمْرو بْنِ أُمَيَّةَ أخذهَا النَّجَاْشِيُّ وَقَبَّلَهَا ووضعَّهَا على رَأْسهِ وعينَيهِ ونَزَلَ عن سريرِ مُلْكهِ تَوَاضِعَاً . . ثُمَّ شَهِدَ أَن لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وأَنَّ محمدًا رسولُ اللهِ .



وأَرسَلَ كِتَابًا إلى رسُولِ اللهِ جاءَ فيهِ :

« إلى محمدٍ رسولِ اللهِ . . من النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ . . السَّلاَمُ عَلَيكَ يانبيَّ اللهِ من اللهِ ، ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، الذِى لاَ إلهَ إلاَّ هوَ، الذِى هَدَانِى للإسلامِ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَقدْ بَلغَنِى كتَابُكَ يَارسُولَ اللهِ ، وقَدْ قَرَّبْنَا ابْنَ عِمِّكَ وَأَصحابَهُ « يَعْنِى جعفرَ بنَ أبى طالبٍ وَمَنْ مَعَهُ من المسلمِينَ » فَأَشْهَدُ أَنكَ رسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلمَ صادِقاً مُصَدَّقاً ، وقد بَايَعْتُكَ ، وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ ، وأَسْلَمْتُ عَلىَ يَديهِ للهِ ربِّ العالمينَ .

المُقَوْقَسُ عَظِيمُ القِبْطِ (1) :

أرسلَ سَيدُ الخَلْقِ (حَاطِبَ بنَ أَبِى بَلْتَعَةَ) وكَانَ ذَكِياً ومُثَقَّفاً بكِتَابٍ إلى المقوقسِ عَظِيم القِبْطِ فى مصرَ ، وعندَما وصلَ إلى مصرَ عَلِمَ أن المُقَوْقَسَ فى طَرِيقهِ إلى الأسكندَرية . . فركبَ حَاطِب سَفِينةً حتىَّ حَاذَتْ مَجْلِسَ المَلِكِ فى سَفِينتِه وأشَارَ بالكِتَابِ إليهِ . فلَمَا رَآهُ المُقَوْقَسُ أمرَ بإحضارِهِ بين يَدَيهِ .

فدخَلَ حَاطِبُ عليهِ وأعطاهُ الكِتَابَ ، فَقرأَ فِيه « بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، سلامٌ عَلىَ مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى ، أَمَّا بعدُ . . فإنى أدعُوكَ بدعَايَةِ الإسلامِ ، اسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أجرَكَ مَرَّتَيْنِ «أجْرًا لِأَنَّكَ صَدَّقْتَ عِيسَى عليهِ السلامُ وأجْرًا لأَنَّكَ صَدَّقْتَ محمدًا صلى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ » فإنْ تَوَلَّيْتَ فَإنَّمَا عَلَيكَ إِثْمُ القِبْطِ **﴿ياأهلَ الكِتَابِ تَعَالوْا إلى كَلِمةٍ سَوَاءٍ بيننَا وبينكُمْ ألا نعبُدَ إلاَّ اللهَ، ولاَنُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ولايتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ فإن تَوَلَّوْافقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون﴾** (2) .

فقالَ المُقَوْقَسُ :

«مَا منعهُ إِنْ كانَ نبيًا أن يَدعُو عَلىَ مَن خالفَهُ أَنْ يُسَلَّطَ عَليهِمْ»؟



(1) القبط : كلمة يونانية الأصل بمعنى سكان مصر (ويقصد بها اليوم المسيحيون من المصريين وجمعها أقباط) .

(2) آل عمران آية (٦٤) .



كتاب سيد الخلق إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر

فقالَ له حَاْطِبُ :

ـ أَلَسْتَ تشهدُ أَنَّ عيسى بنَ مـريمَ رسولُ اللهِ ، فما بالُكَ حيثُ أخذَهُ قومُهُ ، فأرادُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ أَلاَّ يَكُوْنَ دعا عَلَيهِمْ أَنْ يُهلِكَهُمُ اللهُ تعالى ، حتى رفعهُ اللهُ إليه ؟

قالَ لَهُ الْمُقَوْقَسُ :

ـ أَحْسَنْتَ . . أنتَ حكيمٌ جاءَ مِنْ عندِ حَكِيمٍ .

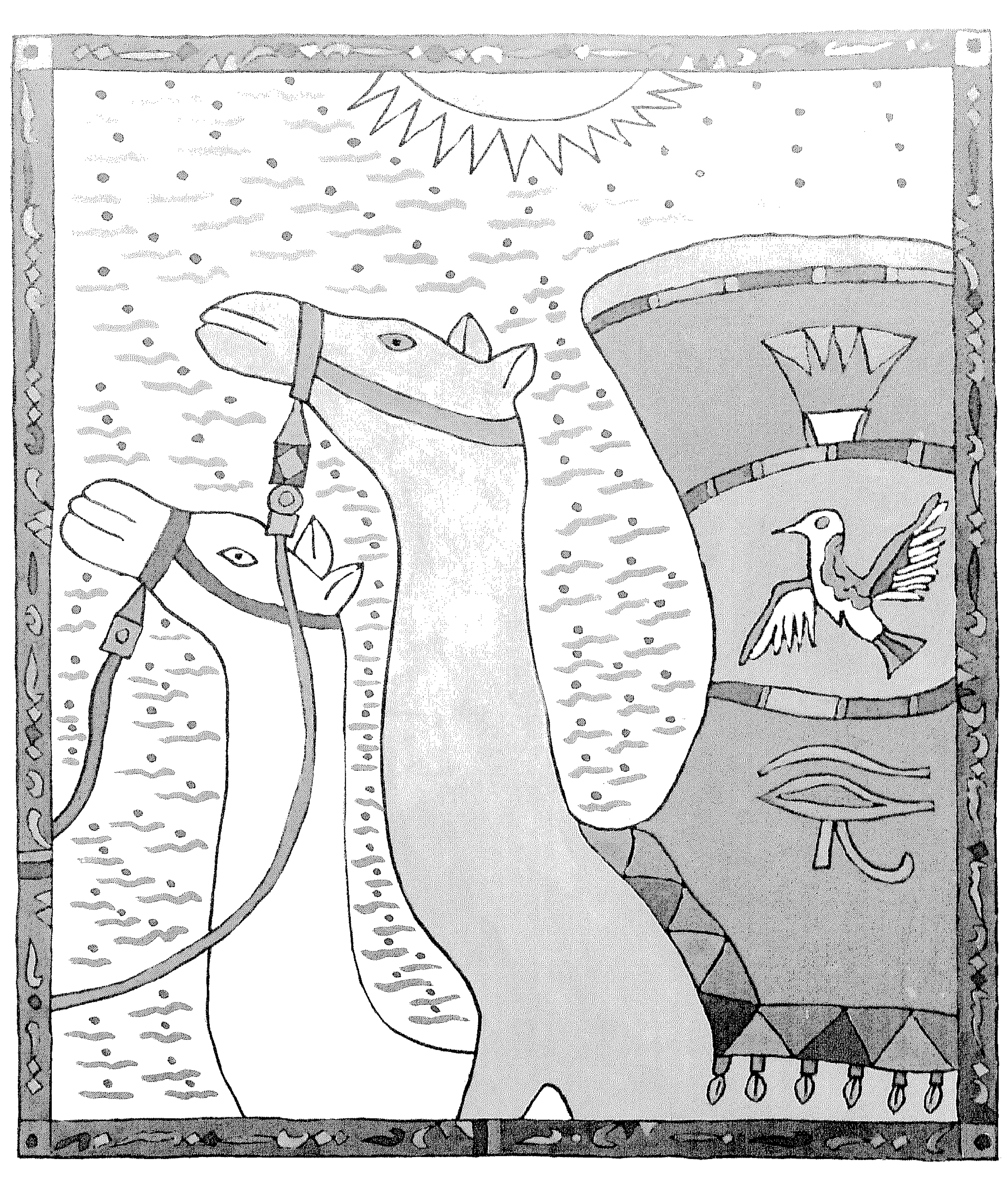
قالَ حَاْطِـبُ وقد رآهُ لَمْ يؤمِنْ بِنُبُـوَّةِ محمدٍ وَاعْتَبَرَهُ حكيماً ، فقالَ مُحَاوِلاً أَنْ يُفْهِمَهُ :



ـ إن هَـذَا النبيَّ صلَّى اللهُ وسلمَ دعَـا الناسَ ، فكانَ أَشَـدُّهُم عليهِ قومَهُ القرشيينَ ، وأَعْداهُم لهُ اليهودَ ، وأقربُهُمْ فيهِ النَّصارى ، وَلَعَمْـرِى ما بِشَـارةُ مُوسـى بِعيسـى عليهِما الصلاةُ والسـلامُ ، إلا كَبِشارةِ عيسى بِمحمدٍ صلى اللهُ عليهِ وسلـم ، وما دُعَاؤُنَا إِيَّاْكَ إلى القُرْآنِ ، إلا كَدُعَائِكَ أهلَ التَّوراةِ إلى الإنجيلِ .

ولقد أكرمَ المُقوقَـسُ حَاطِبَاً رغْمَ عدمِ إسلامِـهِ ، بل لقد أرسلَ الهدَايا الكثيرةَ وَالثِّيابَ الفاخرةَ ، وأَرسلَ جَاْرِيتين هديةً إلى رسولِ اللهِ ـ مَاْرِيَّةَ القِبْطِيَّةَ وَسِيْرِيْنَ ، وأرسلَ لهُ بَغْلَةً يَركبُها .

* * *



أرسل المقوقس الهدايا الكثيرة وجارتين إلى رسول الله ـ مارية القبطية وسيرين

كما أرسلَ رسولُ اللهِ إلى أميرِ دمشق رسولاً فثارَ وألقىَ الخطابَ عَلىَ الأرضِ وأخذَ يُعِدُّ العُدَّةَ لقتالِ المسلمينَ .

وأرسلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ الحَارِثَ بنَ عُمَيْرٍ إلى أَمِيْرِ بُصْرَى مِنْ وِلاَيَاتِ الرُّوْمِ فَاعْتَرَضَهُ شُرَحْبِيْلُ بِنُ عُمرو الغسَانِى وسألَهُ : أَأَنْتَ مَنْ يُسْلِمُ بمحمدٍ ؟

فقالَ : نعمْ . . فَأمر بِهِ شُرَحْبِيْلُ فَقُتِلَ .

وهَكَذا اختلفَتْ رُدودُ الفعلِ من بلدٍ إلى آخَرَ ومنْ ملكٍ إلى آخَرَ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ يمتلِىءُ ثِقةً باللهِ وأن اللهَ ناصِرٌ دِيْنَهُ وأن الإسلامَ سوفَ ينتشرُ انتشارَ النُّورِ فى فِجَاجِ الأرضِ .



كريمان حمزة



رقم الإيداع : ٧٠٥٥/ ٩٥
I.S.B.N. 977-09-0299-3

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سيد الخلق ﷺ

أحُد - الأحزاب - خيبر

أردت بهذا الكتاب أن ألفت النظر إلى شخصية « محمد » .. القرآن الذى يمشى على الأرض فيحل الأمن والسلام والخير والحب أينما سار وحل .

أردت أن أساعد ولو بجزء ضئيل فى عقلية أمة يأتى هواها تبعًا لما جاء به وحى السماء .. تعرف الهدف الذى نكرس له الوجود والجهود فتعمل لوجه واحد هو الله .. فيكفيها كل الأوجه وتعتز بالله فيعزها الله بنصره .. وتخدم الله فتخدمها الدنيا ولاتستخدمها .

أردت أن أشارك فى صناعة جيل يدرك أن الله قد رشحه لمنزلة ضخمة هى عمارة الأرض بالعلم الذى ألح عليه الإسلام وبالعمل الذى نادى به القرآن وأكد عليه وقرنه بالإيمان فقدمت هذا الكتاب «سيد الخلق » صلى الله عليه وسلم فى خمسة أجزاء. هذا هو الجزء الرابع .

كريمان حمزة

صدر للمؤلفة

- رحلتى من السفور إلى الحجاب الطبعة الرابعة
- رفقًا بالقوارير الطبعة الرابعة
- نيجار والغابة « صراع البنوك الإسلامية » الطبعة الرابعة
- موسوعة أناقة وحشمه الجزء الأول
- موسوعة أناقة وحشمه الجزء الثانى
- موسوعة أناقة وحشمه الجزء الثالث
- موسوعة أناقة وحشمه الجزء الرابع
- خمسون حلاً لخمسين مشكلة .
- الإسلام والطفل

* * *

- على بن ابى طالب « الفارس الفقيه العابد »
- أبو ذر الغفارى « حبيب الفقراء »
- آدم وحـــواء
- قابيل وهابيل
- أهل الكهف
- موسوعة سيد الخلق (٥ أجزاء)